باتريك موديانو

الحائز على جائزة نوبل

ترجمة محمد المزديوي

مكتبة سومر

مقهى الشباب الضائع

رواية

2.10.2017 (29)

مَقْهَى الشَّبَابِ الضَّائِع

Telegram: Somrlibrary

Telegram: Somrlibrary

باتريك موديانو

مَقْهَى الشَّبَابِ الضَّائِع

ترجمة

مُحَمَّد المزديوي

للنشر والتوزيع

2016

Telegram: Somrlibrary

للنشر والتوزيع

2015

عنوان الكتاب **مَقْهى الشَّبابِ الضَّائِع**

اسم الكاتب **باتريك موديانو**

ترجمة **محمد المزديوي**

المدير المسؤول : **رضا عوض**

رؤية للنشر والتوزيع

القاهرة 0122/3529628

8 ش البطل أحمد عبد العزيز -- عابدين

تقاطع ش شريف مع رشدي

Email: Roueya@hotmail.com

فاكس + (202) 25754123

هاتف : + (202) 23953150

الإخراج الداخلي **حسين جبيل**

جمع وتنفيذ **القسم الفني بالدار**

الطبعة الأولى 2016

رقم الإيداع 2015/3501

الترقيم الدولي : 978-977-499-180-6

Telegram: Somrlibrary

مَقْهَى الشَّبَابِ الضَّائِع

Telegram: Somrlibrary

من بين مَدْخَلَي المقهى الاثنين، كانت تستعمل دائمًا المدخل الضيق، المدخل الذي كان يُسَمَّى باب الظل. كانت تختار الطاولة نفسها في أقصى القاعة الصغيرة. في البدايات الأولى لم تكن توجه الحديث لأحد، ثم تعرفت بعدها إلى مرتادي «كوندي» الذين كان معظمهم في مثل سنها، أي ما بين تسع عشرة سنة وخمس وعشرين سنة. كانت تجلس أحيانًا إلى طاولاتهم، ولكنها في معظم الأحيان، كانت وفية لمكانها، في أقصى القاعة.

لم تكن تأتي في ساعة محددة. إذ يمكن رؤيتها جالسة هنا في ساعة مبكرة في الصباح. أو أنها تظهر في نحو منتصف الليل وتظل إلى فترة الإغلاق. كان المقهى يتميز بكونه آخر من يغلق

Telegram: Somrlibrary

بابيه في حي لوبوكي ولابيرجولا، وكان المقهى الذي كان يتسم مرتادوه بالغرابة. أتساءل، مع الزمن، إن لم يكُن تواجدُها، لوحده، هو مَن يمنح لهذا المكان ولهؤلاء الناس غرابتهم، كما لو أنها طبعتهم جميعًا بعطرها.

لنفترض أنكم حُمِلتم إلى هنا، وعيونكم مغمضةٌ، ووضعتم إلى طاولة، ونزعت عنكم الغمادة وتركتم خلال دقائق كي تجيبوا على السؤال: في أي منطقة من باريس تتواجدون؟ كان سيكفيكم أن تنظروا إلى مَن يحيطون بكم وتستمعوا إلى كلامهم وتخمنوا أنكم متواجدون بجوار ملتقى طرق الأوديون التي أتخيلها كئيبة جدًّا تحت المطر.

ذات يوم دخل إلى مقهى «كوندي» مصوِّر، لا شيء في هيئته يميزه عن الزبناء. نفس العمر ونفس الملابس المهملة. كان يلبس سترة طويلة جدًّا وسروالاً من قماش وحذاءً عسكريًّا ضخمًا. التقط العديد من الصور لمن كان يرتاد مقهى كوندي. كان قد أصبح من رواده، هو الآخر، وكان الأمر يتعلق، في نظر الآخرين، كما لو أنه يلتقط صور العائلة. فيما بعد ظهرت الصُّوَر في ألبوم مكرَّس لباريس وكان الشرح عبارة عن أسماء الزبناء الشخصية أو ألقابهم. كانت صورتها تظهر على العديد من الصور. وكانت تلفت النظر أكثر من

Telegram: Somrlibrary

غيرها، كما نقول في لغة السينما. وكانت هي التي يلاحظ المرء، في أول وهلة، من بين باقي الصور. وكانت في أسفل الصفحة، كان يُشار إليها، في الشروح، باسم شخصي: «لوكي». «من اليسار إلى الشمال: زاكارياس، لوكي، طرزان، جون-ميشيل، فريد، وعلي شريف..» «في صدر الصورة، لوكي جالسة إلى منضدة الشرب، وخلفها يوجد أنيت، دون كارلوس، ميراي، أداموف والدكتور فالا.» كانت مستقيمة جدًّا في وقفتها، بينما يظهر الآخرون في أوضاع ارتخاء، فالمدعو فريد، مثلاً، نام ورأسه متكئة على مقعد قطني ناعم، ويبدو أنه لم يحلق ذقنه منذ عدة أيام. يجب أن نحدد التالي: اسم لوكي الشخصي مُنح لها في الوقت الذي بدأت ترتاد فيه مقهى كوندي. كنت هنا، ذات مساء، دخلت فيه في منتصف الليل، ولم يكن في المقهى سوى طرزان وفريد وزاكرياس وميريل، وهم جالسون إلى الطاولة نفسها. بدا في أول الأمر أنها مرعوبة ثم ابتسمت. نهض زاكارياس من مقعده وهو يتصنع الرصانة وقال: «سأعمّدك هذه الليلة. أنتِ من الآن فصاعدًا تُدْعين لوكي.» ومع مرور الوقت، ومع دأب الجميع على مناداتها بلوكي، أعتقد أنها أحست بالارتياح لحملها هذا الاسم الجديد. نعم أحست بالارتياح. وفي الحقيقة، كلما فكرتُ في الأمر كلما أستعيد انطباعي الأول، وهو أنها تلتجئ إلى هذه المقهى، لوكوندي،

Telegram: Somrlibrary

كما لو أنها تتهرب من شيء ما، أو تنجو من خطر ما. جاءتني هذه الفكرة حين رأيتها وحيدة، في أقصى المقهى، في ذلك المكان الذي لا يمكن لأحد أن يلحظها. وحين كانت تختلط مع الآخرين لم تكن تلفت الانتباه. تظل صامتة، ومحتشمة وتكتفي بالاستماع. وقلت في نفسي بأنها كي تحس بأمان أكبر تفضل المجموعات الصاخبة، «الثرثارين»، وإلا فإنها ما كانت لتظل، تقريبًا، طول الوقت جالسة إلى طاولة زاكارياس، وجون ميشيل وفريد وطرزان ولاهوبا... معهم كانت تذوب في الديكور، لم تكن سوى كومبارس مجهولة، من اللواتي يُقال عنهنَّ في أساطير الصُّوَر «شخص لم يتم تحديده» أو ببساطة «سين». نعم، في الأوقات الأولى، في الكوندي، لم أرها قط مختلية بأحد. لم يكن ثمة ضير في أن يدعوها أحد الثرثارين لوكي، مادام أنه لم يكن اسمَها الحقيقي.

لكن مَن يراقبها لابدَّ وأن يلاحظ بعض التفاصيل التي تجعلها تختلف عن الآخرين. كانت تضيف إلى ملابسها لمسة غير معهودة لدى مرتادي مقهى كوندي. ذات مساء، كانت جالسة إلى طاولة طرزان وعلي شريف ولاهوبا، أشعلت سيجارة فتعجبت من رقة يديها. وبشكل خاص من أظفارها البراقة. كانت مغطاة بطلاء عديم اللون. هذا التفصيل الصغير يمكن أن يبدو عديم الجدوى. إذًا لنكن أكثرَ رصانة.

Telegram: Somrlibrary

ولهذا السبب يتوجب تقديم بعض الإيضاحات حول الذين تعودوا على ارتياد مقهى كوندي. كانت أعمارهم تتراوح ما بين سن التاسعة عشرة والخامسة والعشرين، عدا بعض الزبناء، مثل بابيلي وأداموف أو الدكتور فالا الذين كانوا يقتربون حثيثًا من سن الخمسين، ولكن كانت تنسى أعمارهم. بابيلي وآداموف والدكتور فالا كانوا أوفياء لشبابهم، أي لهذه الكلمة الجميلة والرخيمة والمهجورة التي نطلق عليها «بوهيميين». أبحث في القاموس عن تفسير لكلمة «بوهيمي» فأقرأ: شخص يعيش حياة متسكعة، من دون قواعد ولا قلق على المستقبل. هذا التعريف ينطبق على من يرتاد مقهى كوندي من النساء والرجال. البعض مثل طرزان وجون- ميشيل وفريد يدّعون أنه حدثت لهم مشاكل عديدة مع الشرطة منذ فترة مراهقتهم كما أن لاهوبا هربت في سن السادسة عشرة من سجن الأحداث في بون- باستور. ولكننا كنا نتواجد في الضفة اليسرى من نهر السين ومعظم الزبناء كانوا يعيشون في ظل الأدب والفنون. أنا بدوري كنت أتابع دراستي في الجامعة. لم أكن أجرؤ أن أتحدَّث إليهم عن الأمر ولم أكن أنضم بصفة حقيقية إلى المجموعة.

شعرتُ جيدًا أنها كانت تختلف عن الآخرين. من أين أتتْ قبل أن يُمنح لها هذا اللقب؟ في معظم الحالات، كان

Telegram: Somrlibrary

معتادو مقهى كوندي يحملون كتبًا في أيديهم ويضعونها، بإهمال، على الطاولة، ويكون غلافها ملطّخًا بالنبيذ. «أناشيد مالدورور». «الإشراقات». «المتاريس السرية». ولكنها، في بداية الأمر، كانت تأتي من دون أن تحمل في يديها شيئًا. ثم بعدها أرادت، من دون شك، أن تفعل مثل الآخرين، وذات يوم، فاجأتُها، وحيدة، في مقهى كوندي، وهي منهمكة في القراءة. ومن حينها لم يغادرها كتابها. كانت تضعه بشكل لافت على الطاولة، حين تكون برفقة آداموف والآخرين، كما لو أن كتابها هو جواز سفرها أو بطاقة إقامة تُشرْعِن حضورها بجانبهم. ولكن لم يُعِر أحد أهمية للأمر، لا آداموف ولا بابيلي ولا طرزان ولا لاهوبا. كان الأمر يتعلق بكتاب جيب، بغلاف وسخ، من نوع الكتب المستعملة التي تُباع على أرصفة نهر السين، وكان العنوان مطبوخًا بخط كبير أحمر: «آفاق ضائعة». في تلك الفترة لم يكن العنوان يحيل إلى أي شيء. كان عليّ أن أسألها عن موضوع الكتاب، ولكني قلت في نفسي، حينها، ببلاهة، إن كتاب آفاق ضائعة، لم يكن بالنسبة لها إلا إكسسوارًا وأنها كانت تتصنع القراءة كي تساير زبناء المقهى. هؤلاء الزبناء، بالنسبة لشخص مارّ ينظر خلسة إلى الداخل، بل وحتى لو أنه ضغط جبينه خلال لحظة على زجاج الواجهة، سيعتبرهم مجرد زبناء من الطلبة. ولكنه سيغيّر على

Telegram: Somrlibrary

الفور رأيه حين يرى كمية النبيذ التي تستهلك على طاولة طرزان وميراي وفريد ولاهوبا. وما كان بالإمكان أبدًا شرب هذه الكميات في مقاهي الحي اللاتيني الهادئة. بطبيعة الحال في ساعات الركود لما بعد الظهيرة يمكن أن يشكِّل مقهى كوندي وهمًا. لكن مع سقوط الليل يصبح ملتقى لما أطلق عليه فيلسوف رومانسي «الشباب الضائع». لماذا هذا المقهى وليس مقهى آخر؟ بسبب ربّة المقهى، السيدة شاذلي التي لم يكن يبدو أنها تُصاب بالذهول من شيء بل كانت تُظهر بعض التسامح مع زبائنها. بعد سنوات طويلة، كانت حينها شوارع الحي اللاتيني لا تظهر سوى واجهات حوانيت فاخرة وكان متجر للصناعات الجلدية يحتل مكان مقهى كوندي، التقيتُ بالسيدة شاذلي على الضفة الأخرى من نهر السين، عند طلعة شارع بلانش. لم تتعرَّف عليّ على الفور. تمشينا طويلاً جنبًا إلى جنب ونحن نتحدث عن كوندي. زوجها، وهو جزائري، كان قد اشترى العقار بعد الحرب. كانت تتذكر كل أسمائنا. كانت تتساءل كثيرًا عمَّا أصبحنا عليه، ولكنها لم تكن تمتلك كثيرًا من الأوهام. كانت تعرف، منذ البداية، أن النهاية ستكون بالغة الإيلام بالنسبة لنا. قالت لي إننا كنا كِلابًا ضالّة. وحين كنا نتوادع بالقرب من الصيدلية الموجودة في ساحة بلانش، أسرّت إليّ وهي تنظر في عينيّ: «مفضَّلتي كانت هي لوكي».

Telegram: Somrlibrary

حين كانت جالسة إلى جانب طرزان وفريد ولاهوبا، هل كانت تشرب مثلما يشربون أم أنها كانت تتصنع الأمر حتى لا تثير استياءهم؟ وفي كل الحالات كان صدرها مستقيمًا وحركاتها بطيئة ورشيقة وكانت ابتسامتها بالكاد لا تُدرك، وكانت تقاوم بشدة تأثير النبيذ. وقوفًا على الكونطوار، من السهل ممارسة الغش. يمكنك أن تنتهز لحظة عدم انتباه أصدقاء ثمالى كي تفرغ كأسك في مغسل الأواني. لكن حين يتعلق الأمر، بإحدى طاولات كوندي، فالأمر أكثر صعوبة. هم يرغمونك على مجاراتهم في قُصوفهم. يُظهرون في هذا الأمر حساسية بالغة ويعتبرونك غير جدير بمجموعتهم إذا لم ترافقهم إلى نهاية ما يطلقون عليه: «السفر». فيما يخص المواد السامّة الأخرى فقد تصورتُ، من دون أن أكون متأكدًا، أن لوكي تتناولها، مع بعض أعضاء المجموعة. لكن مع ذلك لم يكن في نظرتها ولا مواقفها ما يفترض أنها كانت تزور الفراديس المصطنعة.

كنت أتساءل كثيرًا حول إذا ما كان أحد من معارفها تحدَّث لها عن مقهى كوندي قبل أن تلجه للمرة الأولى. أم أن أحدًا أعطاها موعدًا في هذه المقهى ولم يأتِ، فاضطُرّت أن تأتي، يومًا بعد يوم، مساءً بعد مساءٍ، إلى طاولتها، على أمل اللقاء به في هذا المكان، الذي كان نقطة المَعْلَم الوحيدة ما بينها

Telegram: Somrlibrary

وبين هذا المجهول. ليس ثمة من وسيلة أخرى للقائه. لا عنوان. لا رقم هاتف. فقط اسم شخصي. لكن ربما تكون قد جنحتْ بمحض الصدفة، إلى هذا المكان، مثلما حدث لي. كانت متواجدة في الحي، وأرادت أن تحتمي من المطر. اعتقدتُ دائمًا أنه توجد بعض الأماكن التي تمارس سحر الجاذبية وينجذب المرءُ إليها إذا تمشّى في محيطها. يحدث هذا بشكل لا يُدرك، حتى من دون أن يَشعُر به المرء. يكفي شارع منحدر، رصيف مشمس أو رصيف ظليل. أو وابل من المطر. وهذه الأشياء تقود المرء إلى هذا المكان، إلى النقطة المحدَّدَة التي يتوجب الجنوح عليها. يبدو لي أن مقهى كوندي، ومن خلال موقعه، كانت لها هذه السلطة المغناطيسية وإذا ما أجرينا حساب الاحتمالات فإن النتيجة كانت ستؤكدها، إذْ إنه في نطاق شاسع كان من المُحتَّم الانحراف في اتجاهها. وأنا لست غريبًا عن الأمر.

أحد أعضاء المجموعة، بوونج، الذي كنا نطلق عليه لقب «القائد»، انخرط في مسعى وافق عليه الجميع. كان يُسجل، منذ ثلاث سنوات أسماء زبناء مقهى كوندي، حسب توقيت وصولهم، حسب التاريخ والساعة الدقيقة. وكلّف اثنين من أصدقائه بالمهمة نفسها، في مقهى بوكي ومقهى لابيرجولا، اللتين تظلان مفتوحتين طول الليل. لكن زبناء

Telegram: Somrlibrary

هذين المكانين، للأسف، كانوا كثيرًا ما يرفضون التصريح بأسمائهم. في واقع الأمر كان بووينج يريد أن يحفظ من النسيان الفراشات التي تحوم بعض لحظات حول مصباح ما. كان يقول بأنه يحلم بِسِجل واسع تُودَع فيه أسماء زبناء كل مقاهي باريس منذ مائة سنة، مع إشارة إلى وصولهم ومغادرتهم. كان مسكونًا بما يسمّيه: «النقاط الثابتة».

في هذا الدفق الذي لا يتوقف من النساء ومن الرجال والأطفال والكلاب التي تمر وينتهي بها الأمر إلى أن تضيع على طول الشوارع، يحبّ المرء الاحتفاظ بوجه، من حين لآخر. نعم يتوجب، حسب بووينج، العثور في وسط دوّامات المدن الكبرى على بعض النقاط الثابتة. وقبل أن يسافر إلى الخارج سلّم لي الدفتر الذي كانت مقيَّدة فيه، في فهارس، أسماء زبناء مقهى كوندي، يومًا بعد يوم، خلال ثلاث سنوات. لم تَرِد فيه إلا تحت اسمها المستعار، لوكي، وأُشير إليها لأول مرة يوم 23 يناير. شتاء هذه السنة كان قاسيًا، ولم يكن البعض منّا يغادر مقهى كوندي طول النهار للاحتماء من البرد. كما أن القائد كان يسجِّل أيضًا عناويننا بحيث يمكن أن نُحيل إلى المسار المعتاد الذي يقود كل واحد منا إلى هذه المقهى. كما أنها كانت طريقة بووينج في إرساء نقاط ثابتة. لم يسجّل على الفور عنوانها. يجب انتظار تاريخ 18 مارس كي نقرأ: «الساعة

Telegram: Somrlibrary

الثانية بعد الزوال. لوكي، 16 شارع فيرمات، باريس المقاطعة الرابعة عشر.» ولكن في الخامس من سبتمبر (أيلول) من السنة نفسها، تَغَيَّرَ العنوان: «الساعة الحادية عشرة وأربعون دقيقة، ليلاً. لوكي، 8 شارع سيلس، باريس المقاطعة الرابعة عشرة». أفترض أن بووينج كان يرسم، على خرائط كبيرة لمدينة باريس، مساراتنا إلى كوندي، وهو من أجل هذا يستخدم أقلامَ حبر مختلفة. ربما كان يريد أن يعرف إن كانت ثمة حظوظ لالتقاء بعضنا بالبعض الآخر قبل الوصول إلى المقهى.

تحديدًا أتذكر أنني التقيت ذات يوم «لوكي» في حيّ لم أكن أعرفه، وكنت بصدد زيارة أحد أقارب والدي البعيدين. حين خرجتُ من بيته، متجهًا نحو محطة ميترو بورت-مايوت، فتقابلنا في نهاية جادة لاجراند أرمي. تفرستُ في وجهها، وثبّتتْ في وجهي نظرَها القلِق، كما لو أنني فاجأتُها في وضعية محرجة. مددتُ لها يدي، وأنا أقول لها: «لقد التقينا من قبل في كوندي». وتصورت، بشكل مفاجئ، كما لو أن المقهى يوجد في الطرف الآخر من العالَم. أظهرت ابتسامة فيها بعض إحراج، وقالت: «أي نعم... في كوندي». حدث هذا اللقاء بُعيْد ظهورها في المقهى لأول مرة. لم تكن قد التقت بعدُ بالآخرين، كما أن زاكارياس لم يكن قد منحها بعدُ اسم

Telegram: Somrlibrary

«لوكي». قلت: «غريبٌ مقهى كوندي، أليس كذلك؟». حركتْ رأسها علامةً على الموافقة. خطونا معًا بضع خطوات وقالت لي بأنها تسكن غير بعيد عن المكان، ولكنها لا تحب على الإطلاق هذا الحي. كنت غبيًّا، فقد كان باستطاعتي أن أعرف في هذا اليوم اسمَها الحقيقي. ولكننا افترقنا عند بورت مايوت، بالقرب من مدخل المترو، وظللت أنظر إليها وهي تبتعد في اتجاه نويي وغابة بولوني، بمشية، بدت أكثر فأكثر بطيئة، كما لو أنها تمنح الفرصة لشخص ما بأن يمسك بها. اعتقدتُ أنها لن تعود أبدًا إلى كوندي، وأني لن أحصل أبدًا على أخبارها. اختفت فيما كان يطلق عليه بوونج «غُفليّة المدينة الكبيرة» والتي كان يدّعي أنه يناضل ضدها بملء صفحات كناشه بالأسماء. وهو دفتر بغلاف أحمر مغلف بمادة البلاستيك يتضمن مائة وتسعين صفحة. وللصراحة فإن الأمر لم يكن مفيدًا. إذ حين نتصفح الكناش، فإنه ما عدا أسماء وعناوين عابرة، فإنه لا يمكن معرفة شيء عن كل هذه الأسماء ولا عني. ربما كان القائد يعتقد أن وضع أسمائنا و«تثبيتنا» في مكانٍ ما، شيء يكتسي أهمية كبيرة. أما عدا هذا فلم نكن في مقهى كوندي نطرح الأسئلة على بعضنا البعض في ما يتعلق بأصولنا. كنا في مقتبل الشباب، ولم يكن لدينا ماضٍ يمكن أن نكشف عنه، وكنا نعيش في الحاضر. ولكن الزبناء الأكبر سنًّا،

Telegram: Somrlibrary

آداموف وبابيلي أو الدكتور فالا، فلم يكونوا يُشيرون أبدًا إلى ماضيهم. وكانوا يكتفون بالتواجد، هنا، بيننا. اليوم، فقط، وبعد كل هذا الزمن، أشعر بالندم؛ لأنه كان بودي لو أن بوونج كان أكثر دقّة في كناشه فكرّس لكل واحد مذكرة بيوجرافية صغيرة. هل كان يعتقد، حقيقة، أن اسمًا وعنوانًا يكفيان، لاحقًا، للعثور على خيط حياة ما؟ خصوصًا حين يتعلق الأمر باسم شخصي بسيط غير حقيقي؟ «لوكي. 28 أبريل، الساعة الثانية بعد الظهر.» كان يشير أيضًا إلى الأمكنة التي كان يجلس فيها، كل يوم، الزبناء حول الطاولات. أحيانًا لم يكن يرد أي اسم ولا لقب. في شهر يونيو (حزيران) من هذه السنة، أشار ثلاث مرات إلى «لوكي جالسة مع الأسمر ذي المعطف المصنوع من جلد الأيل». لم يطلب من هذا الشخص أن يُعرّفه باسمه، أو أنه رفض. وعلى ما يبدو فإن هذا الشخص ليس من رواد هذا المقهى. الأسمر ذو المعطف المصنوع من جلد الأيل ضاع إلى الأبد في شوارع باريس، وبووينج لم يستطع سوى تثبيت ظله خلال بضع ثوانٍ. كما توجد بعض أغلاط في كناشه. انتهى بي الأمر إلى النجاح في تثبيت نِقاط معالم أكّدت فكرتي التي ترى أنها لم تأتِ لأول مرة إلى كوندي في يناير كما يُحاول أن يقنعنا بووينج. أمتلك تذكارًا عنها قبل هذا التاريخ. القائد لم يبدأ في الإشارة إليها إلا بعد أن أطلق

Telegram: Somrlibrary

عليها الآخرون اسم لوكي، وأفترض أنه إلى حدود هذا التاريخ لم يكن قد اكتشف حضورها. لم تستحقَّ حتى إشارة عابرة من قبيل «الساعة الثانية بعد الظهر. سمراء ذات عينين خضراوين»، مثل حال الأسمر ذي المعطف المصنوع من جلد الأيل.

في شهر أكتوبر من السنة التالية بدأ ظهورها. اكتشفتُ في كناش القائد نقطة مَعْلم: «15 أكتوبر. الساعة التاسعة ليلًا. عيد ميلاد زاكارياس. يجلس إلى مائدته: أنيت ودون كارلوس وميراي ولاهوبا وفُريد وآداموف.» أتذكر جيدًا هذه المناسبة. كانت جالسة إلى مائدتهم. لماذا لم يدفع الفضول بووينج إلى أن يسألها عن اسمها؟ الشهادات هشة ومتناقضة، ولكني واثق من حضورها في تلك الليلة. وقد أثار ذهولي كل ما يجعلها غير مرئية في نظر بووينج، من خجلها وحركاتها البطيئة وابتسامتها وبشكل خاص صمتها. كانت جالسة بالقرب من آداموف. ربما بسببه جاءت إلى مقهى كوندي. التقيت في كثير من المرات بآداموف في محيط الأُودْيُون، وأيضًا، وبعيدًا عنه، في حي سانت- جوليان- لو- بوفر. وكان في كل المرات يتمشى متكئًا على كتف امرأة شابة. أعمى في كنف من يقوده، على الرغم من أنه كان يبدو أنه يلاحظ كل شيء، بنظرة كلب مأساوي. وكان يبدو لي، في كل مرة، أنه مع امرأة شابة غير

Telegram: Somrlibrary

التي كانت كدليلة أو ممرضة. لماذا لا يتعلق الأمر بلوكي؟ وتحديدًا، في هذه الليلة، خرجت لوكي من المقهى مع آداموف. رأيتهما ينزلان الشارع الفارغ باتجاه الأوديون، ويد آداموف على كتف لوكي وهو يتقدَّم بخطاه الميكانيكية. من رأى المنظر يمكن أنه تصور أنها كانت تخاف من التقدم بسرعة، وكانت تتوقف، أحيانًا، كما لو أنها تفعل ذلك من أجل أن يستعيد تنفسه. في مفترق طرق الأوديون شدّ آداموف على يدها بطريقة فيها شيءٌ من الوقار، ثم اندفعت إلى فم المترو. واصل مسيره المسرنم بشكل مستقيم باتجاه سانت-أندري-ديزار. وهي؟ بدأت ترتاد لوكوندي في الخريف. والأمر من دون شك ليس من قبيل الصدفة. الخريفُ، بالنسبة لي لم يكن أبدًا فصلاً حزينًا. الأوراق الميتة والأيام التي تقصر أكثر فأكثر لم تُوحِ لي أبدًا بنهاية شيء ما، بل على العكس بانتظار المستقبل. يوجد كهرباء في الهواء، في باريس، في مساءات أكتوبر حين انسدال الليل، وحتى حين تمطر السماء. لا تسودُّ الدنيا في عينيّ في هذه الساعة، ولا الإحساس بهروب الزمن. لديّ الانطباع بأن كل شيء ممكنٌ. السنة تبتدئ في شهر أكتوبر. يتعلق الأمر بالدخول المدرسي وأعتقد أنه موسم المشاريع. إذًا فإنها إن كانت قد جاءت إلى كوندي في شهر أكتوبر فلأنها قطعت مع جزء من حياتها وأرادت أن تصنع ما يُطلَق عليه في الروايات:

Telegram: Somrlibrary

جلدًا جديدًا. فضلاً عن كل هذا توجد إشارة تثبت أنه لا يمكن أن أكون مخطئًا. ففي كوندي مُنحت اسمًا جديدًا. بل إن زاكارياس تحدّث في هذا اليوم عن معمودية. أي عن ولادة جديدة، بصيغة من الصيغ.

أما فيما يخص الأسمر ذا المعطف المصنوع من جلد الأيل فهو لا يظهر، للأسف، في الصُّوَر التي التُقِطت في كوندي. ينتهي الأمر في معظم الأحيان إلى التعرف على شخص ما بفضل صورة ما. يتم نشرها في صحيفة ما وتتم الدعوة إلى الشهود. هل كان عضوًا في المجموعة، لم يكن بوونج يعرفه فمنعه الكسل من تسجيل الاسم؟

مساء الأمس، تصفحتُ بانتباه كل صفحات الكناش. «لوكي مع الأسمر ذي المعطف المصنوع من جلد الأيل». وكم كانت مفاجأتي حين لاحظتُ أن القائد لم يتحدَّث عن هذا المجهول في شهر يونيو (حزيران)، فقط. في أسفل الصفحة خربش هذه الملاحظة على عجل: «24 مايو. لوكي بجوار الأسمر ذي المعطف المصنوع من جلد الأيل». كما أننا نعثر على التفسير نفسه مرتين في شهر أبريل. كنتُ قد سألتُ بوونج عن السبب الذي جعله يكتب اسمها بالقلم الأزرق، كلّما تعلق الأمر بها، كما لو أنه يريد تمييزها عن الآخرين. لم يكن هو وراء هذا الأمر. ذات يوم، كان فيه واقفًا إلى

Telegram: Somrlibrary

الكونطوار وهو يسجل في كناشه أسماء الزبناء الموجودين في المقهى، فاجأه في عمله أحد الحاضرين وكان واقفًا بالقرب منه: رجل في الأربعين من عمره وهو من معارف الدكتور فالا. كان يتحدَّث بصوت رخيم ويدخن سجائر شقراء. شعر بووينج بالثقة فقال له بعض كلمات عن كتابه الذي كان يطلق عليه اسم «الكتاب الذهبي». بدا كما أن الرجل اهتم بالأمر. كان «ناشرًا للكتب الفنية». نعم كان يعرف الرجل الذي التقط، قبل بعض الوقت، صُوَرًا في مقهى كوندي. اقترح نشر ألبوم عن هذه الصور، يكون عنوانه: مقهى في باريس. هل سيتكرَّم القائد بإعارته كناشه إلى اليوم التالي، والذي يمكن أن يساعده في اختيار شروحات الصُّوَر؟ في اليوم التالي أعاد الكناش إلى بووينج ولم يظهر في كوندي أبدًا. وكم كان ذهول القائد عندما لاحَظَ أن اسم لوكي تم التسطير عليه بالقلم الأزرق. كان يريد أن يعرف عن الموضوع أكثر، وذلك بطرح العديد من الأسئلة على الدكتور فالا فيما يخص موضوع ناشر الكتب الفنية. أصيب فالا بالذهول. «آه، قال لك إنه ناشر للكتب الفنية؟» كان يعرفه بصفة سطحية، بسبب لقاءات عديدة جمعت بينهما في شارع سانت- بونوات في لامالين وفي حانة مونتانا ولعب معه عدة مرات ... كان هذا الشخص يرتاد هذا الحي منذ فترة طويلة. اسمه؟ كيزلي. بدا وكأنّ فالا

Telegram: Somrlibrary

مُحْرَجٌ بعض الشيء في الحديث عنه. وحين أشار بووينج إلى كناشه وإلى سطور القلم الأزرق تحت اسم لوكي، اجتاز تعبيرٌ قلِقٍ نظرة الدكتور. وقد عبر هذا التعبير بسرعة. ثم ابتسم. «هو ربما يهتم بالمرأة الشابة... إنها جميلة جدًّا... ولكن أي فكرة مضحكة في ملء كناشك بكل هذه الأسماء... أنت تثير ضحكي، أنت ومجموعتك وتجاربكم الباتافيزيقية[1]...» كان يخلط بين كل شيء، بين الباتافيزيقا والمذهب الحرفي والكتابة الأوتوماتيكية والخطوط الكبيرة وكل التجارب التي كان يعيشها زبناء كوندي الأكثر تعلقًا بالأدب، كبووينج وجون- ميشيل وفريد وبابيلي ولاروند أو آداموف. وأضاف الدكتور فالا بصوت خفيض: «ثم إنّه خطير القيام بما تقوم به». وأضاف: «إن كناشك يشبه سجلّ الشرطة أو دفاتر مسودة في مركز شرطة، كما لو أنه تم اعتقالنا جميعًا في مداهمة شرطة».

احتجَّ بووينج محاولًا أن يفسر له نظريته حول النقاط الثابتة، ولكنه انطلاقًا من هذا اليوم انتابه الشعور بأن فالا يَحْذر منه بل ويريد تجنبه.

لم يكتفِ كريزلي بالتسطير على اسم لوكي، بل كان يضع خطين باللون الأزرق في الكناش كلما ورد «الأسمر ذو المعطف المصنوع من جلد الأيل». عكّر الأمر كثيرًا نفسية

(1) Pataphysique تعني علم الحلول المتخيَّلة.

Telegram: Somrlibrary

بووينج وظلَّ يحوم في الأيام التي تلت حول شارع سانت-بونوات على أمل أن يعثر على هذا الذي يدّعي كونه ناشرًا للأعمال الفنية في لامالين أو في حانة مونتانا، وأن يطلب تفسيرًا للأمر. لم يعثر عليه أبدًا. وهو بدوره اضطر، بعد فترة، لمغادرة فرنسا تاركًا بمعيتي كناشه، كما لو أنه أراد مني مواصلة بحثه. ولكن الفوت فات، اليوم. ثم إنه إذا كانت هذه الحقبة لا تزال حيّة في ذاكرتي فبسبب أسئلة ظلت من دون جواب.

في ساعات الفراغ من النهار، لدى العودة من المكتب، وغالبًا ما تحدث في عزلة أيام الآحاد، تعود إليّ بعض التفاصيل. من بين كل اهتماماتي أحاول تجميع بعض التفاصيل وتسجيلها في كناش بووينج على الصفحات التي ظلت بيضاء. أنا أيضًا، أنطلق في البحث عن النقاط الثابتة. يتعلق الأمرُ بتسلية، كما يفعل آخرون بالكلمات المتقاطعة أو بلعبة النجّاحات. أسماء وتواريخ الكناش تساعدني كثيرًا، تتطرَّق من فترة لأخرى لفعل معين، ما بعد ظهيرة ممطرة أو مشمسة. ولقد كانت لديّ دائمًا حساسية تجاه الفصول. ذات مساء دخلت لوكي إلى مقهى كوندي، وشعر رأسها مبلل بسبب وابل من الأمطار أو بالأحرى بسبب أمطار نوفمبر أو بداية الربيع التي لا تتوقف. كانت مدام شاذلي تشتغل خلف الكونطوار في هذا اليوم. صعدت إلى الطابق الأول من شقتها

Telegram: Somrlibrary

المتواضعة، للبحث عن فوطة حمَّام. وكما أشار إلى ذلك الكناش فقد تجمع حول الطاولة نفسها، في ذلك المساء، زاكارياس وآنيت ودون كارلوس وميراي ولاهوبا وفريد وموريس ورافاييل. تناول زاكارياس الفوطة ومسح بها شعر لوكي قبل أن يعقدها كعمامة من حول رأسها. جلست إلى طاولتهم فشرّبوها مشروبًا محلّى مع الماء الساخن والحامض، وظلت معهم إلى ساعة متأخرة والعمامة فوق رأسها. وعند الخروج من كوندي، نحو الساعة الثانية صباحًا، كانت السماء لا تزال تمطر. ظللنا لبعض الوقت في كوة المدخل وكانت لوكي لا تزال تحتفظ بعمامتها. أطفأت مدام شاذلي ضوء القاعة وتوجهت للنوم. فتحت النافذة الموجودة ما بين الدور الفوقي وما فوقه واقترحت علينا أن نصعد عندها للاحتماء من المطر. ولكن رافائيل قال لها بلطف شديد: «ألا تتصورين، سيدتي، أنه يتوجب علينا أن نتركك تنامين...» كان رجلًا أسمر جميلًا، أكبر منا سنًّا، وكان زبونًا مواظبًا على مقهى كوندي، وكان زاكارياس يسميه: «الفهد» بسبب مشيته وحركاته الرشيقة. كان قد نشر، مثل آداموف ولاروند، العديد من الكتب، ولكن لم نكُن نتحدَّث عنها أبدًا. كان ثمة لغزٌ يحوم حول هذا الرجل وكنا نعتقد أن له علاقات مع أوساط مشبوهة. ضاعف المطر من هطوله، أمطار غزيرة مصحوبة برياح موسمية، ولكن لم يكن الأمر خطيرًا على الآخرين؛ لأنهم كانوا يسكنون في الحي

Telegram: Somrlibrary

نفسه. عمّا قريب لم يتبق سوى لوكي ورافائيل وأنا، تحت سقيفة المقهى. قال موريس رافائيل مقترحًا: «هل أستطيع أن أصطحبكم في سيارتي؟». عَدَوْنا تحت المطر حتى أسفل الشارع حيث كانت سيارته جاثمة، وهي من نوع فورد سوداء قديمة. جلست لوكي بالقرب منه، وجلست أنا على المقعد الخلفي. سأل موريس رافائيل: «مَنْ أُوصلُه في البدء؟» أعلمتْه لوكي بشارعها، مشيرة إلى أنه يوجد وراء مقبرة مونتبارناس. قال رافائيل: «إذًا فأنت تسكنين في اليمبوس[1]». أعتقد أن لا أحد منا عرف ما الذي يعنيه «اليمبوس». طلبتُ منه أن يضعني بعد تجاوز سياج لوكسمبورج، في ركن شارع فال-دي- جراس. لم أكن أريد أن يعرف بالتحديد مسكني خوف أن يطرح عليّ أسئلته.

صافحتُ لوكي وموريس رافائيل وأنا أقول في نفسي إنه لا أحد منهما يعرف اسمي الشخصي. كنت زبونًا محتشمًا جدًّا في كوندي، وكثيرًا ما كنت أبقى على حدة، مكتفيًا بالإنصات للجميع. كان الأمر يكفيني. كنت أشعر بالراحة بينهم. مقهى الكوندي كان بالنسبة لي ملجأ من كل ما أتحسبه من رتابة الحياة. سيكون ثمة جزءٌ منّي – الجزء الأفضل- الذي سوف أكون مضطرًّا، يومًا ما، لأتركه هناك. قال لي موريس

(1) يمبوس: مقام أرواح البررة قبل مجيء السيد المسيح.

Telegram: Somrlibrary

رافائيل: «أنـت علـــى حـقٍّ في الـسكن في حـيّ فـال-دي-جراس».

ابتسم في وجهي، وبدت لي الابتسامة معبِّرة عـن اللطافـة والسخرية في آنٍ واحد.

قالت لوكي: «إلى لقاء قريب».

خرجت من السيارة وانتظـرتُ حتـى اختفـت، هنـاك في اتجاه بورت-روايال، حتى أرجع أدراجي. وفي الحقيقة، لم أكن أسكن في حي فال-دي- جراس، وإنما أسفل، في عـمارة 85، بولفار سانت-ميشيل، حيث عثرتُ عند وصولي إلى بـاريس، على غرفة، بفضل معجـزة. مـنْ النافـذة كنـت أرى الواجهـة السوداء لمدرستي. في هـذه الليلـة لم أكـن أسـتطيع أن أصرف بصري عن هذه الواجهـة الـضخمة ودرج المـدخل الحجـري الكبير. ما الذي سيقولونه لو علموا أنني أتمـشى تقريبًـا، كـل يوم، في هذا الدرج وأني طالب في المدرسة العليا للمعادن؟ هل يعرف زاكارياس ولاهوبـا وعـلي شريـف أو دون كـارلوس، تحديدًا، ماهية مدرسة المعادن؟ يجب عليّ أن أحتفظ بسرّي وإلا فإنهم سيسخرون أو يَحْـذرون منّـي. مـا الـذي تمثلـه مدرسـة المعادن بالنسبة لآداموف أو لارومـد أو مـوريس رافائيـل؟ لا شيء، من دون شك. سينصحونني بألا أرتاد هذه المدرسة. إذا كنت أقضي وقتًا طويلاً في كوندي فلأني أريد أن يمنحوني مثل

Telegram: Somrlibrary

هذه النصيحة، مرة واحدة للأبد. يمكن أن تكون لوكي وموريس رافائيل قد وصلا إلى الجانب الآخر من المقبرة، إلى هذه المنطقة التي سمّاها موريس رافائيل بـ «اليمبوس». أنا ظللتُ في الظلام، واقفًا، إلى النافذة، أتأمل الواجهة السوداء. مَنْ رآها تَصوَّرها محطةً في منطقة ريفيّة تَمَّ تغيير وظيفتها. لاحظتُ على حيطان العمارة المقابلة آثار رصاص، كما لو أنه أُطلق الرصاص على شخص ما. رددت بصوت خافت هذه الكلمات التي أصبحت، أكثر فأكثر، غير عادية: المدرسة العليا للمعادن.

Telegram: Somrlibrary

كنتُ محظوظًا أن يكون هذا الرجل الشاب جالسًا بقربي إلى طاولة كوندي، وبدأنا بطريقة طبيعية تبادل أطراف الحديث. كانت المرة الأولى التي آتي فيها إلى هذا المكان، وكان من الممكن أن أكون أباه. الكناش الذي فهرس فيه، يومًا بعد آخر، ليلة بعد أخرى، منذ ثلاث سنوات، زبناء كوندي سهّل عليّ المأمورية. أنا نادم لأني أخفيت عنه السبب الدقيق وراء رغبتي في قراءة هذا الكتاب الذي تكرَّم بإعارتي إياه. لكن هل كذبتُ عليه حين قلت له إنني ناشر للكتب الفنية؟

لاحظتُ جيدًا أنه يصدّقني. إنها ميزة أن يكون المرء أكبر من الآخرين بعشرين سنة. إذ إنهم لا يعرفون ماضيك. وحتى إذا طرحوا عليك بعض الأسئلة الطائشة عما كانت عليه

Telegram: Somrlibrary

حياتك إلى حد الساعة، تستطيع أن تختلق كل شيء. حياة جديدة. لن يكلفوا أنفسهم عناء التحقق من الأمر. وبقدر المضيّ في الحديث عن هذه الحياة المتخيلة، فإن نفحات كبيرة من الهواء المنعش تجتاز مكانًا مغلقًا حيث كنت تختنق فيه منذ فترة طويلة. نافذة تنفتح فجأة، الشباك الخارجي يصفق من الريح. ها هو المستقبل، من جديد، أمامك.

ناشر كتب فنية. جاءتني الفكرة من دون تفكير. لو سُئلتُ قبل أكثر من عشرين سنة عمّا سأصيره في المستقبل، كنتُ سأُتمتم: ناشر كتب فنية. ها، أقول هذا، اليوم. لم يتغير شيءٌ. كل هذه السنوات تمّ إلغاؤها.

إلا أنني لم أضرب صفحًا على الماضي، بصفة نهائية. لا يزال بعض شهود، بعض الناجين من بين الذين عاصَرونا. ذات مساء سألتُ الدكتور فالا في مقهى مونتانا عن تاريخ ميلاده. ولدنا معًا في السنة نفسها. وذكّرتُه بلقائنا في الحانة نفسها، في الماضي، حين كان الحيّ لا يزال في أوج توهجه. وعلى كل فإنه يبدو لي أنني التقيته قبل هذا التاريخ، في أحياء أخرى من باريس، على الضفة اليمنى. كنت واثقًا من الأمر. طلب فالا، بصوت أجش، من النادل ربع ليتر من ماء فيتيل المعدني، قاطعًا عليَّ الكلام في اللحظة التي كنتُ سأتطرّقُ فيها لذكريات سيئة. لزمتُ الصمت. إننا نعيش تحت رحمة بعض

Telegram: Somrlibrary

أنواع الصمت. نحن نعرف الشيء الكثير عن بعضنا البعض. ولهذا نحاول أن نتجنب بعضنا البعض. الأفضل هو ألا نلتقي أبدًا.

يا لها من مصادفة غريبة... التقيتُ فالا، ما بعد ظهيرة هذا اليوم، حين اجتزتُ لأول مرة عتبة مقهى كوندي. كان جالسًا إلى طاولة بصحبة شخصين أو ثلاثة. ألقى في وجهي نظرة العاشق لطيب العيش القلقة وهو بحضور شبح. ابتسمت في وجهه. صافحته من دون أن أنبس بكلمة. أحسستُ أنّ أدنى كلمة من قبلي يمكن أن تجعله في وضعية غير مريحة تجاه أصدقائه الجدد. بدا مرتاحًا من صمتي ومن تكتمي حين جلستُ على مقعد مصنوع من فرو الخُلد، في الطرف الآخر من القاعة. من هذا المكان كان بإمكاني مراقبته من دون أن يلتقي نظره بنظري. كان يتحدَّث إليهم بكلام خافت، وهو يميل بجسده نحوهم. هل كان يخشى أن أسمع حديثهم؟ من أجل تمرير الوقت قررتُ أن أتخيل كل الجُمَل التي سأتلفظ بها، لهجة فيها اصطناع حب الحياة الاجتماعية الموسرة والتي كانت تقطّر من جبينه قطرات من العرق. «هل لا تزال تشتغل طبيبًا؟» وبعد أن أتوقف قليلًا عن الكلام أعاود: «قل لي، هل لا تزال تشتغل في كي لويز-بلبريوت؟ اللهمّ إلا إذا كنت قد حافظت على عيادتك في شارع موسكو... وماذا عن إقامتك

Telegram: Somrlibrary

في سجن فريسنس منذ فترة طويلة، أتمنى ألا أكون قد تسببت لك في نتائج ثقيلة...» أوشكتُ أن أنفجر ضاحكًا، وحدي، في ركني. إننا لا نشيخ. مع السنوات التي تمرّ، ينتهي الأمر بكثير من الناس والأشياء إلى أن يظهروا أمامكم مثيرين للضحك وجد ساخرين بحيث تلقون في أوجههم نظرة طفل.

Telegram: Somrlibrary

ظللتُ، خلال هذه المرة الأولى، فترة طويلة أنتظر في الكوندي. لم تأتِ. يجب التزام الصبر. ربما سألتقيها يومًا آخر. راقبت مرتادي المقهى. معظمهم لم يكونوا يتجاوزون سن الخامسة والعشرين، ولو أن روائيًا من القرن التاسع عشر رأى الأمر لتحدّث عن «الطالبة البوهيمية». لكن القليل من بينهم، في نظري، كانوا يتابعون دراستهم في السوربون أو في مدرسة المعادن. عليّ أن أعترف أنه عند مراقبتهم عن قرب كنت أحس بالقلق على مستقبلهم.

دخل رَجُلان في وقت متقارب. آداموف وهذا الرجل الأسمر ذو المشية الرشيقة الذي كتب عدة مؤلفات تحت اسم موريس رافائيل. كنت قد رأيتُ آداموف من قبل. في الماضي

Telegram: Somrlibrary

كان يتواجد تقريبًا، كل يوم، في مقهى أولد نـايفي ولا يمكـن نسيان نظراته بسهولة. أعتقد أنني أسهمت في تسوية أموره، في الوقـت الـذي كنـت لا أزال أحـتفظ فيـه باتـصالات مـع الاستخبارات العامة. أما موريس رافائيل فقد كان هو الآخـر متعوّدًا على ارتياد حانـات الحـي. كـان يـتردد أنـه كانـت لـه مشاكل بعد الحرب حين كان يحمل اسمًا آخر. في هـذه الفـترة كنتُ أشتغل لفائدة السيد بليهانت. أتى كلاهما إلى الكونطوار، ظل موريس رافائيل واقفًا، مستقيمًا، فيما ارتفع آداموف عـلى كرسي وهو يبدي حركة ألَم. لم يكن لاحظ وجودي. على كـل حال، ألا يـزال وجهـي يـذكره بـبعض شيء؟ التحـق بهـما في الكونطوار ثلاثة من الشباب ومـن بيـنهم فتـاةٌ شـقراء تلـبس معطفًا مطريًّا وقَـصّة شَـعر. مـدّ لهـم مـوريس رافائيـل علبـة سجائر وتأملهم بابتسامة مسلية، في حين أن آداموف بدا أقـلّ ترحيبًا بهم. منْ رأى نظرته الحـادة كـان سـيعتقد أنـه أصـيب بالرعب من حضورهم.

كنت أتوفر على صورتين لجاكلين ديلانكـي في جيبـي... من الوقت الذي كنتُ أشتغل فيه لفائدة بليهانت، كان يتفاجـأ دائمًا من سهولة تحديـد أيّ كـان. كـان يكفينـي أن أرى، مـرة واحدة، وجهًا كي يظل محفـورًا في ذاكـرتي، وبليهانـت يمـزح معي حول هذه القدرة على التعرُّف الفوري على شـخص مـن

Telegram: Somrlibrary

بعيد، حتى من ثلاثة أرباع جسمه، بل وحتى من ظهره. لم أكن أشعر بأدنى قلق. بمجرَّد ما أن تلج حتى أعرف أن الأمر يتعلق بها.

استدار الدكتور فالا في اتجاه الكونطوار، فالتقت عينانا. أصدر حركة ودية بيده. جاءتني فجأة رغبة في التوجه إلى طاولته ومصارحته برغبتي في طرح سؤال سري. كنت سأنتحي به جانبًا وكنت سأريه الصُّوَر: «هل تعرفها؟» وللحقيقة كان سيكون مفيدًا لي قليلًا في معرفة أشياء عن هذه الفتاة من قبل أحد زبناء مقهى كوندي.

Telegram: Somrlibrary

ما إن عرفت عنوان فندقها، حتى توجهت إلى عين المكان. اخترت ساعات الفراغ فيما بعد الظهيرة. ثمة احتمال كبير في أن تكون غائبة. على الأقل، هذا ما أتمناه. وهكذا أستطيع أن أطرح بعض الأسئلة فيما يخصها في الاستقبالات. كان نهارًا خريفيًّا مُشمسًا، وكنتُ قررتُ التوجه بمشيًا على القدمين. انطلقت من ضفاف نهر السين متوغّلاً، ببطء، في داخل المدينة. كانت الشمس مُواجهة لعينيّ في شارع شيرش ميدي. دخلتُ حانة شيان كي فيم[1] وطلبت كأسًا من الكونياك. كنتُ قلقًا. تأملتُ من خلف الزجاج جادة «مين». يتوجب عليَّ اتباع الرصيف الأيسر، ثم أصل إلى الهدف. وبمقدار ما كنتُ أتتبع الجادّة كنتُ أستعيد هدوئي. كنتُ

(1) معناها الكلب الذي يُدخّن.

Telegram: Somrlibrary

متأكدًا، تقريبًا، من غيابها، وعلى كلِّ حال فأنا سألِج الفندق، هذه المرة، ليس من أجل طرح الأسئلة. سأحوم حول الفندق، كما نقوم حين نريد كشف شيء ما. كان لديّ الوقتُ، وكنتُ مدفوع الثمن من أجل القيام بما أفعله الآن.

حين وصلتُ شارع سيلس قررتُ أن أقف على جليّة الأمر. شارع هادئ ورمادي ذكّرني ليس بقرية ما أو ضاحية وإنما بهذه المناطق الغامضة التي نسميها: «داخل البلاد». اتجهت إلى مكتب الاستقبال. لم يكن ثمة أحد. انتظرت ما يقارب عشر دقائق على أمل ألا تظهر. انفتح بابٌ، وتقدَّمت امرأة سمراء ذات شعر قصير وكلِ ملابسها سوداء، إلى مكتب الاستقبال. قلت لها بصوت لطيف:

- «في موضوع جاكلين ديلانك».

كنت أعتقد أنها مسجلة في الفندق باسمها الشخصي.

ابتسمت في وجهي وقدمت لي مظروفًا تناولته من إحدى الرفوف الموجودة من خلفها.

- «هل أنت هو السيد رولاند؟»

من يكون هذا الشخص؟ صدرت مني، بالصدفة، إيماءة من رأسي. مدَّتْ لي المظروف الذي كُتب عليه بحبر أزرق: من أجل رولاند. لم يكن المظروف ملصقًا. قرأت على ورقة كبيرة:

Telegram: Somrlibrary

رولاند، تعال للقائي ابتداءً من الساعة الخامسة مساءً في كوندي. وإلا فهاتفني في أوتوي 15-28 واترك لي خطابًا.

كانت الرسالة موقَّعة باسم لوكي. هل هو اسم التصغير لجاكلين؟

أعدتُ طي الرسالة ودسستها في الظرف الذي أعدته إلى السيدة السمراء.

- سامحيني... يوجد خلط... الرسالة ليست من أجلي.

لم تتذمر وأعادت الرسالة إلى الدرج بحركة آلية.

- «هل تقيم جاكلين ديلانك، هنا، منذ فترة طويلة؟».

ترددت، لحظة، ثم أجابت برنة فيها بشاشة:

- «منذ شهر تقريبًا.

وحيدة؟

- نعم».

أحسستُ أنها غير مبالية وأنها مستعدة للردِّ على كل أسئلتي. كانت تسلط عليّ نظرة فيها الكثير من السأم.

قلتُ لها:

- «أشكركِ.

Telegram: Somrlibrary

- لا شكر على واجب».

كنت أفضّل ألا أتأخر، فرولاند يمكنه أن يصل في أيّة لحظة. التحقت بجادة «مين» وتتبعتها في الاتجاه المعاكس لما فعلته من قبل. في مقهى شيان كي فيم طلبت كأس كونياك من جديد. بحثت في دليل الهاتف على عنوان كوندي. كان يوجد في حي أوديون. الساعة الرابعة بعد الزوال، وأمامي بعض من الوقت. هاتفت أوتوي 15-28. صوت جافّ أشبه بصوت الساعة الناطقة: «هنا جراج لافونتين... هل من خدمة؟» سألت عن جاكلين ديلانك. «تغيبت خلال بعض الوقت، هل من خطاب؟» كانت تنتابني رغبة في إقفال الهاتف، لكنني تمالكت نفسي وأجبت: «لا. ليس عندي رسالة. شكرًا».

يجب قبل كل شيء تحديد المسارات التي تتبعها الناس، بأكبر قدر من الدقة، كي نتعرَّف عليهم بشكل أفضل. رددت مع نفسي بصوت خافت: «فندق شارع سيلس. جراج لافونتين. مقهى كوندي. لوكي». ثم هذا الجزء من نويي ما بين غابة بولوني ونهر السين، هناك حيث منحني السيد موعدًا كي يتحدَّث إليّ عن زوجته، التي تُدعى جاكلين شورو، واسمها قبل الزواج، ديلانك.

Telegram: Somrlibrary

نسيتُ الشخص الذي نصحه بالتوجه إليّ. ليس الأمر مُهمًّا. عثر على عنواني في دليل الهاتف من دون شك. ركبت المترو قبل وقت الموعد. كانت طريق المترو مُباشِرة. نزلت في محطة سابلونس وتمشيتُ ما يقرب نصف ساعة، في محيط المكان. تعوّدت التعرف على الأماكن قبل الدخول الفوري في صلب الموضوع. في الماضي، كان بلياانت يلومني على الأمر ويرى أنني أضيّع من وقتي. كان يقول لي إنه من الأفضل أن ألقي بنفسي في الماء من أن أحوم حول المسبح. أنا كنت أفكر بطريقة تناقض تلك. لا حركة فيها خشونة مبالغ فيها، ولكن نوع من سلبية ومن بطء بفضله يمكن للمرء أن يتشرّب بروح الأمكنة.

Telegram: Somrlibrary

كانت تفوح في الجوّ رائحة الخريف والريف. تتبعت الجادة المحاذية لحديقة الإكليماتاسيون Jardin d'Acclimatation ولكن على الجانب الأيسر، أي جانب الغابة وميدان الفرسان، وكنت أتمنى لو أن الأمر كان مجرد نزهة.

السيد جون- بيير شورو هاتفني كي يثبّت معي موعدًا بصوت لا رنة فيه. فهمتُ من كلامه أن الأمر يتعلق بزوجته. وكنت كلما أقترب من بيته، كنت أتخيله وهو يتمشى مثلي على طول ممر الفرسان ويتجاوز دوّارة حديقة الإكليماتاسيون. كم مضى من عمره؟ رنة صوته بدت لي شبابية، ولكن الأصوات دائمًا مضلّلةٌ.

إلى أيّ مأساة أو إلى أي جحيم يقودني إليه؟ أحسستُ بنوع من الإحباط يجتاحني، ولم أكن واثقًا جدًّا من الذهاب إلى هذا الموعد. أوغلت في الغابة متجهًا إلى بركة سانت-جيمس، إلى البحيرة الصغيرة التي يرتادها المتزحلقون أثناء الشتاء. كنتُ المتنزّه الوحيد، وكان عندي انطباع أني أُوجَد بعيدًا عن باريس، في مكان ما من سولوني. مرة أخرى استطعت أن أُغالب الإحباط. فضولٌ مهني كبير أوقف جولتي في الغابة وجعلني أعود إلى طرف منطقة نويي. لا سولوني. نويي. تخيلتُ أوقاتًا طويلة ممطرة لفترة ما بعد الظهيرة في حياة

Telegram: Somrlibrary

الزوجي شورو في نويي. وهناك، في سولوني، تُسمع أبواق الصيد، في الشفق. هل كانت زوجته تركب على ظهر فرس؟ انفجرتُ ضاحكًا وأنا أتذكر ملاحظة بليهانت: «أنت، يا كيزلي، أنت تنطلق بسرعة قصوى، كان عليك أن تؤلف روايات».

كان يقطن في الحد الأقصى، في باب مدريد، في عمارة حديثة بمدخل زجاجي كبير. طلب مني أن أذهب إلى أقصى البهو، في اتجاه اليسار. وسوف أجد اسمه على الباب. «إنها شقّة في الطابق الأرضي». تفاجأتُ من الحزن الذي نطق به «الطابق الأرضي». تلا ذلك صمتٌ كما لو ندم على هذا البوح.

سألته: «والعنوان الصحيح؟».

في 11 جادة بريتفيل. هل تسجل؟ في رقم 11... في الرابعة مساءً، هل يلائمك؟

تقوّى صوتُه، وقد أوشكت على ارتداء رنة اجتماعية.

صفيحة صغيرة مذهبة على الباب: جون بيير شورو، فوقها لاحظت وجود عُيَيْنة. دققت الجرس. انتظرت. وهنا، في هذا البهو الموحش والصامت، قلت في نفسي بأني أتيت متأخرًا. وإنه انتحر. شعرت بالخجل من مثل هذه الفكرة، ومن جديد، الرغبة في التخلي عن كل شيء، ومغادرة هذا

Telegram: Somrlibrary

البهو ومواصلة نزهتي في الهواء الطلق، في سولوني... دققت الجرس مرة أخرى، وهذه المرة ثلاث طَرَقات خفيفة. انفتح الباب على الفور، كما لو أنه كان مسمرًا خلفها، وهو يراقبني من العيينة.

كان رجلًا أسمر في الأربعين من عمره، وكان شعر رأسه قصيرًا، بينما كانت قامته أكبر من المتوسط. كان يرتدي بدلة زرقاء غامقة وقميصًا أزرق سماويًّا بياقة مفتوحة. قادني إلى ما يشبه قاعة استقبال من دون أن يتفوَّه بكلمة. أشار إلى كَنَبة، خلف طاولة منخفضة وجلسنا عليها معًا، جنبًا إلى جنب. كان يجد صعوبة في الحديث. كي أجعله في وضعية مريحة قلت له بصوت رخيم، قدر الإمكان: «إذًا، يتعلق الأمر بزوجتك؟».

Telegram: Somrlibrary

حاول أن يتكلم بلهجة غير مكترثة. وجّه إليّ ابتسامة منطفئة. نعم، اختفت زوجته منذ شهرين إثر شجار عادي. هل أنا هو أول شخص تحدَّث إليه منذ هذا الافتراق؟ المصراع الحديدي لإحدى النوافذ الكبيرة كان مُنْزلًا، وتساءلت إذا كان هذا الرجل قد ظلّ سجينًا في هذه الشقة خلال شهرين. لكن، عدا المصراع، فلم يكن ثمة أي أثر للفوضى ولا للإهمال في قاعة الاستقبال. وبعد لحظة من تردد، استعاد بعض رباطة جأش.

انتهى به الأمر إلى أن يقول أخيرًا: «أتمنى أن تتضح الحالة بسرعة».

Telegram: Somrlibrary

كنتُ أراقبه عن قرب. عينان صافيتان جدًّا تحت حاجبين أسودين، ووجنتان عاليتان، ومَنْظر عادي. في هيأته وفي حركاته حيوية رياضية كان يقوّيها الشَّعر القصير. بكل بساطة مَن ينظر إليه يمكن أن يتخيله على مركب شراعي، وهو عاري الصدر، كبحّار وحيد. ورغم كثير من الصرامة ومن الإغواء الظاهرَيْن، فقد غادرته زوجته.

كنتُ أود أن أعرف إنْ كان قد حاول، خلال كل هذه الفترة، العثور عليها. لا. لقد هاتفَتْهُ ثلاث أو أربع مرات وأكّدتْ له أنها لن تعود. ونصحَتْه، بحرارة، بألا يبحث عن معاودة الاتصال بها ولم تمنحه أي تفسير. غيّرت من لهجتها. لم تعُد هي الشخص نفسه. صوت هادئ جدًّا، وعلى درجة كبيرة من السكينة، وكان يُربكه كثيرًا. كانت تفصله هو وزوجته خمس عشرة سنة. كانت في سن الثانية والعشرين، بينما كان هو في سن السادسة والثلاثين. وبقدر ما كان يمنحني هذه التفاصيل، كُنتُ أشتمّ في حديثه حذرًا ، بل وبرودة، كانت من دون شكّ ثمرة ما يمكن تسميته بالتربية الصحيحة. يتوجب عليّ، الآن، أن أطرح عليه أسئلة محددة ولم أعد أعرف إن كان الأمر يستحق العناء. ما الذي يريده، تحديدًا؟ أن تعود زوجته؟ أم يريد، بكل بساطة، أن يفهم أسباب هجره؟ ربما يكفيه الأمر. عدا الكنبة والطاولة الواطئة، لم يكن يوجد في قاعة

Telegram: Somrlibrary

الاستقبال من أثاث آخر. النوافذ الكبيرة تطل على الجادة حيث لا تمر إلا سيارات قليلة جدًّا، حتى إنه لم يكن مزعجًا أن تقع الشقّة في الطابق الأرضي. انسدل الظلام، أشعل مصباحًا ثلاثي القوائم وعاكس النور الأحمر المرتب بجانب الكنبة، على يميني. الضوء جعل عينيّ ترفّان، ضوءًا أبيض جعل الصمت أكثر عمقًا. أعتقد أنه كان ينتظر أسئلتي. تربّع في جلسته، وكي أربح الوقت أخرجتُ من جيب معطفي الداخلي دفترًا وقلم حبر وسجّلت بعض الملاحظات. «هو في السادسة والثلاثين من عمره، وهي في الثانية والعشرين من عمرها. نويي. شقة في الطابق الأرضي. لا يوجد أثاث. نوافذ زجاجية كبيرة تطل على جادة بروتفيل. لا توجد حركة مرور. بعض مجلات موضوعة على الطاولة الواطئة». كان ينتظر من دون أن يتفوه بكلمة، كما لو كنت طبيبًا يشهر وصفة طبية.

- «الاسم الشخصي لزوجتك؟

- ديلانك. جاكلين ديلانك».

سألته عن تاريخ ومكان ولادة جاكلين ديلانك. تاريخ زواجهما، أيضًا. هل تملك، هي، رخصة سياقة؟ عمل مُنتظم؟ لا. هل لا يزال لديها بعضٌ من العائلة؟ في باريس؟ في الريف؟ دفتر شيكات؟ وكان كلما يُجيبني بصوت حزين، كنت أسجّل كل هذه التفاصيل التي كانت في معظم الأحيان، التفاصيل

Telegram: Somrlibrary

الوحيدة التي تشهد على مرور كائن حيّ على الأرض. بشرط أن نعثُر ذات يوم على دفتر يكون قد سجّل فيه أحدهم هذه التفاصيل بخطّ صعب القراءة، مثلما هو خطّي.

الآن، يتوجب عليّ أن أطرح أسئلة صعبة، والأسئلة التي تدخل في حميمية كائن من دون أن أطلب منه الإذن. بأي حق؟

- «هل لك أصدقاء؟»

نعم، بعض الأشخاص الذين يلتقيهم بشكل منتظم. تعرّف عليهم في مدرسة للتجارة. البعض منهم كانوا رفاقًا، في ثانوية جون-بابتيست-ساي.

وقد حاول أن يفتح شركة عقارية مع ثلاثة من بينهم قبل أن يشتغل مع شركة عقارية زانيتاكي باعتباره شريك-وكيل.

- «هل لا تزال تشتغل فيها؟

- نعم. في 20 شارع السلام».

عبر أي وسيلة نقل يذهب إلى مكتبه؟ كل تفصيل، حتى الذي يبدو عديم الجدوى، يكشف عن شيء. في السيارة. كان من حين لآخر يقوم بتنقلات من أجل زانيكاتي. مدينة ليون. بوردو. لاكوت دازور. جنيف. وجاكلين شورو، واسمها في الولادة ديلانك، هل تبقى وحيدة في نويي؟ اصطحبها معه

Telegram: Somrlibrary

أحيانًا، بسبب هذه التنقلات، إلى لاكوت دازور. وحين كانت وحيدة، كانت تنشغل بأي شيء؟ ألا يوجد، في الحقيقة، شخص ما قمين بأن يمنحه معلومة تخصّ اختفاء جاكلين، الزوجة شورو، والتي تحمل اسم ديلانك وهو اسم ولادتها ويعطيه أدنى دليل؟ «لست أدري، أنا، هو بوحٌ تكون قد قامت به في يوم من أيام الكآبة...» لا. ما كان لها أبدًا أن تبوح بشيء لأحد وهي كثيرًا ما لامته على غياب الطرافة عند أصدقائه. يتوجب القول، أيضًا، أن كانت تصغرهم بأكثر من خمس عشرة سنة.

وصلتُ الآن إلى سؤال كان يرهقني قبل أن أطرحه، لكني كنت مرغمًا على فعل ذلك:

«هل تعتقد أن لها عشيقًا؟».

بدتْ لي رنة كلامي عنيفة، شيئًا ما، وغبية، بعض الشيء. ولكن الأمر كان على هذا الشكل. قطّب حاجبيه.

«لا».

تردد، نظر بشكل مستقيم في عينيّ، كما لو أنه ينتظر تشجيعًا من قِبَلي أو أنه يبحث عن كلماته. ذات مساء، قدم أحد أصدقائه في المدرسة التجارية، لتناول العشاء في بيته بصحبة شخص يُدعى جي دي فير، وهو رجل أكبر منهما

Telegram: Somrlibrary

سنًّا. كان جي منهمكًا في العلوم الباطنة واقترح أن يُحضر لهما عدة مؤلفات في هذا الصدد. حضرت زوجته عِدَّة اجتماعات، بل وحضرت حتى بعض المحاضرات التي كان يُلقيها جي دي فير بشكل منتظم. هو لم يستطع أن يرافقها بسبب زيادة الشغل في مكتب زانيتاشي **Zannetacci**. أبدت زوجتُه اهتمامًا بهذه الاجتماعات وهذه المحاضرات وكانت تتحدث معه كثيرًا عنها، من دون أن يفهم حقيقة بِمَ يتعلق الأمر. ومن بين الكتب التي نصحها جي دي فير بقراءتها، استعارت منه أحدها، ويبدو هو الأسهل للقراءة. وهو كتاب يحمل عنوان، آفاق ضائعة. هل دخلت في اتصال مع جي دي فير بعد موت زوجته؟ نعم، لقد هاتفه عدة مرات ولكنه لم يكن على علم بأي شيء. «هل أنت متأكد من هذا الأمر؟» حرَّك كتفيه وثبّتني بنظرة متعبة. جي دي فير كان شخصًا يتقن جيدًا التملص، وأدرك بأنه لم يحصل على أي معلومة عنه. الاسم الدقيق وعنوان هذا الرجل؟ كان يجهل عنوانه. لم يكن موجودًا في دليل الهاتف.

بحثت عن أسئلة أخرى أطرحها عليه. عمّ صمت بيننا، ولكن الأمر لم يبْدُ أنه أزعجه. كنا جالسيْن جنبًا إلى جنب على الكنبة، وجدنا نفسينا في قاعة انتظار طبيب أسنان أو طبيب عام. حيطان بيضاء وعارية. بورتريه امرأة معلق فوق الكنبة.

Telegram: Somrlibrary

أوشكت أن أتناول إحدى المجلات الموضوعة على الطاولة الواطئة. استبد بي إحساس بالفراغ. عليَّ أن أقول بأنه في هذه اللحظة أحسستُ بغياب جاكلين شورو، باسمها ديلانك، إلى درجة أن الغياب بدا لي نهائيًا. لكن يتوجب علينا ألا نكون متشائمين من البداية. ثم ألا تعطي هذه القاعة الشعور بالفراغ، حين كانت هذه المرأة موجودة؟ هل كانا يتعشيان هنا؟ إذًا فمن دون شك كانا يتعشيان على طاولة البريدج، التي يتمّ طيها وجمعها بعد ذلك. أردتُ أن أعرف إن كانت غادرت البيت إثر نزوة، تاركة خلفها بعض أشيائها. لا. لقد حملت ثيابها وبعض الكتب التي أعارها لها جي دي فير، كل الأشياء في حقيبة من الجلد الأحمر الرمانيّ. لم يتبَقَّ في البيت أدنى أثر لها. حتى الصور التي تظهر فيها- وهي صور نادرة التقطت في العطل- فقد اختفت. في المساء، وحيدًا في الشقة، يتساءل إن لم يكن لم يتزوج قط بجاكلين ديلانك. الدليل الوحيد على أن هذا لم يكن حلمًا هو دفتر الأسرة الذي سُلّم لهما بعد الزواج. دفتر الأسرة. ردد هذه الكلمات كما لو أنه لا يفهم معناها.

لم يكن من المفيد زيارة الغرف الأخرى في الشقة. غُرف فارغة. خزائن فارغة. والصمت بالكاد يُعكّره مرور سيارة في جادة بريتفيل. الأمسيات لابد وأن تكون طويلة.

«هل حملت معها المفتاح؟».

Telegram: Somrlibrary

أجاب بالنفي بحركة من رأسه. لم يكن يملك حتى الأمل في أن يسمع في ليلة صرير المفتاح في القفل يعلن عودتها. ثم اعتقد أنها لن تكلمه أبدًا في الهاتف.

«كيف تعرَّفْتَ عليها؟»

تم تشغيلها في شركة زانيتاشي من أجل تعويض إحدى العاملات. عمل سكرتاريًا بالنيابة. أملى عليها بعض رسائل للزبناء وهكذا تعرَّف أحدهما على الآخر. والتقيا بعد ذلك خارج المكتب. قالت له بأنها طالبة في مدرسة اللغات الشرقية التي تتابع فيها الدروس، مرتين أسبوعيًا، لكنه لم يستطع أبدًا معرفة أي اللغات المعنية. قالت إن الأمر يتعلق بلغات آسيوية. وبعد شهرين تزوّجا ذات يوم سبت في بلدية نويي، وكان الشاهدان من زملاء مكتب زانيتاشي. لم يحضر شخص آخر ما كان يعتبره مجرد شكليات بسيطة. توجّها لتناول طعام الغداء مع الشاهدين في مكان قريب من منزله، على طول غابة بولوني، في مطعم يرتاده زبناء ترويض الخيل المجاورين.

ألقى عليّ نظرة مرتبكة. كان يُريد، فيما يبدو، أن يمنحني تفسيرات مسهبة فيما يتعلق هذا الزواج. ابتسمتُ في وجهه. لم أكن في حاجة إلى تفسيرات. بذل مجهودًا، وكما لو أنه ألقى بنفسه في الماء:

«نحاول خلق روابط، هل تفهم...»

Telegram: Somrlibrary

لكني كنتُ أفهم. في هذه الحياة التي تبدو لكم أحيانًا مثل أرض واسعة من دون عمود دال، وسط كل خطوط الهروب والآفاق الضائعة، يتمنى المرء أن يعثر على نقاط معالم وإشهار نوع من السجل العقاري كي لا يكون عنده الانطباع بأنه يبحر وفق الصدفة. إذًا فيحاول المرء نسج الروابط وجعل لقاءات الصدفة أكثر استقرارًا. لزمت الصمت، ونظري مثبت على كومة المجلات. في وسط الطاولة الواطئة مرمدة كبيرة وعليها كتابة: سينزانو. وكتاب مغلَّف بعنوان: وداعًا فوكولارا. جون-بيير شورو. سينزانو. جاكلين ديلانك. بلدية نويي. فوكولارا. ويجب البحث عن معنى لكل هذا...

«ثم إنها كانت تمتلك جاذبية... وقد صُعقت بحبّها...».

بمجرد ما تلفظ، بصوت خافت، بهذا الاعتراف حتى بدا أنه نادم. هل أحسّ، في الأيام التي سبقت اختفاءها، بشيء خاص لديها؟ بالطبع نعم، كانت تعاتبه، أكثر فأكثر، بخصوص حياتهما اليومية. كانت تقول له: ليست هذه هي الحياة الحقيقية. وحين كان يسألها ما الذي تعنيه الحياة الحقيقية، تحديدًا، تهزّ كتفيها من دون جواب، كما لو تعرف أنه لن يفهم شيئًا من شروحاتها. ثم تستعيد ابتسامتها ولطافتها وتوشك أن تعتذر من مزاجها السيء. ثم تبدو مستكينة وتقول له بأن كل هذا، في حقيقة الأمر، ليس خطيرًا. ربما سيفهم، ذات يوم، ما الذي تعنيه الحياة الحقيقية.

Telegram: Somrlibrary

«هل تمتلك، حقيقة، صورة لها؟».

ذات يوم، في فترة ما بعد الظهر، كانا يتنزهان على ضفة نهر السين. كان ينوي ركوب المترو في منطقة شاتلي كي يلتحق بعمله. مرّا في بولفار دو بالي بالقرب من حانوت صغير لاستنساخ الصُوَر. كانت تحتاج إلى صُوَر من أجل جواز سفرها الجديد. انتظرها على الرصيف. حين خرجتْ عهدت له بالصور وهي تقول بأنها تخاف عليها من الضياع. لدى عودته إلى مكتبه وضع الصُوَر في ظرف ونسي أن يحمله معه إلى نوبي. بعد اختفاء زوجته اكتشف أن الظرف لا يزال موجودًا، على مكتبه، بين وثائق إداريةٍ عديدة.

«هل تستطيع أن تنتظرني للحظة؟»

تركني وحيدًا على الكنبة. كان الوقت ليلاً. نظرت إلى ساعتي، ودهشت حين رأيت أن العقربين لا يزالان يشيران إلى الساعة السادسة مساءً إلا ربعًا. كان عندي انطباع أنني متواجد في هذا المكان منذ فترة طويلة.

صورتان في ظرف رمادي، طُبع على يساره «وكالة عقارية زانيتاشي (فرنسا)، 20، شارع دي لابّي، باريس المقاطعة الأولى». صورة أمامية وأخرى جانبية، كما كانت تشترط في الماضي إدارة الشرطة على الأجانب. اسمها العائلي: ديلانك،

Telegram: Somrlibrary

واسمها الشخصي: جاكلين، كانا باللغة الفرنسية. صُورتان كنت أمسك بهما ما بين الإبهام والسبّابة وكنت أتأملهما في صمت. شعر أسود وعينان صافيتان وأحد هذين الجانبين من الصفاء بحيث إنه يمنح جاذبية حتى للصور التي تقيس جسم الإنسان.

سألته:

«هل يمكنك أن تعهد لي بها، لبعض الوقت؟».

أجاب:

«بطبيعة الحال».

وضعت الظرف في جيب سُترتي.

ثمة أوقاتٌ من الأفضل فيها ألا نُنصت لأحد. هو، جون-بيير شورو، ما الذي يعرفه عن جاكلين ديلانك؟ ليس ثمة من شيء مهم. عاشا معًا خلال سنة، بالكاد، في هذا الطابق الأرضي في نويي. كانا يجلسان جنبًا إلى جنب على هذه الكنبة، ويتعشيان، الواحد منهما مقابل للآخر، وأحيانًا بحضور أصدقاء المدرسة التجارية القدامى وقدامى ثانوية جون-بابتيست ساي. هل هذا كافٍ لتخيل كل ما يحدث في رأس المرء؟ وهل لا تزال تلتقي بأفراد من عائلتها؟ بذلتُ مجهودًا أخيرًا كي أطرح عليه هذا السؤال.

Telegram: Somrlibrary

«لا. لم يكن لها من عائلة».

نهضت من مكاني. ألقى عليّ نظرة قلقة. بينما هو ظل جالسًا على الكنبة.

قلتُ له:

«لقد حان الوقت للانصراف. لقد تأخرت».

ابتسمت في وجهه، لكنه بدا، حقيقة، وكأنما تفاجأ من رغبتي في مغادرة بيته.

قلت له:

«سوف أهاتفك في أقرب فرصة ممكنة. وأتمنى أن أمنحك أخبارًا جدية في أقرب وقت».

نهض هو بدوره، بهذه الحركة المسرنمة التي قادني بها منذ قليل إلى قاعة الاستقبال. سؤال أخير جاء إلى ذهني:

«هل أخذتْ معها مالاً؟

- لا.

- وحين كانت تهاتفك بعد هروبها، هل كانت تمنحك بعض التفاصيل عن نمط حياتها؟

- لا».

Telegram: Somrlibrary

توجّه نحو الباب الخارجي، بمشيته المتوترة. هل لا يـزال باستطاعته الإجابة على أسئلتي؟ فتحت الباب. كان واقفًا من خلفي، متجمدًا. لست أدري أي نوع من الدُّوار أصابني، أيـة سَوْرة مرارة، ولكني قلت له برنة عدوانية:

«أنت كنت تتمنى، من دون شك، أن تشيخ معها؟».

هل فعلتُ ذلك من أجل إيقاظه من سباته ومـن ضـناه؟ حملق فيّ وتأمّلني في خشية. كنت في إطار الباب، اقتربـتُ منـه ووضعت يدي على كتفه:

«لا تتردد في مهاتفتي. في أي ساعة».

انزاح التوتر من وجهه، وجاءته قـوة الابتـسام: وقبـل أن يغلق الباب حيّاني بذراعه. ظللت خلال فترة طويلة في صحن الدرج حتى انطفأ جهاز توقيت إنارة الـصحن. كنـت أتخيلـه جالسًا وحده على الكنبة، في المكان الذي كان يجلـس فيـه منـذ قليل. وبحركة آلية، يتنـاول إحـدى المجـلات المكدّسـة عـلى الطاولة الواطئة.

Telegram: Somrlibrary

في الخارج، كان الوقت ليلًا. لم أستطع أن أبعد من رأسي هذا الرجل الساكن في الطابق الأرضي، تحت نور المصباح الساطع. هل سيأكل شيئًا ما قبل أن ينام؟ تساءلتُ إن كان يمتلك مطبخًا، في بيته. كان عليّ أن أدعوه إلى تناول العشاء معي. ربما، من دون أن أطرح عليه أسئلة، كان من الممكن أن يتلفظ بكلمة أو باعتراف كان يمكن له أن يفتح لي، بسرعة، طريق جاكلين ديلانك. كان بليمانت يردد لي بأنه يأتي وقت يقوم فيه كل واحد منا، حتى الأكثر عنادًا، بـ «لااعتراف» وهو تعبيره المعتاد. علينا نحن، أن ننتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر، محاولين، بطبيعة الحال، إثارتها، لكن بطريقة غير محسوسة تقريبًا، وكان بليمانت يقول: «عن طريق ضربات دبوس

Telegram: Somrlibrary

صغيرة ومرهفة». يجب أن يكون عند الشخص المعني انطباعٌ أنه يوجد إزاء مُعرِّف (كنسي). الأمر صعبٌ. إنها المهنة. كنت قد وصلت إلى بورت مايوت وكنت أريد أن أواصل المشي لبعض الوقت في دفء المساء. لكن فردتي حذائي الجديدتين لسوء الحظ كانتا تسببان لي ألمًا شديدًا في رسغ قدميّ. فاضطررت وأنا في الجادة أن ألِج أول مقهى واخترتُ إحدى الطاولات القريبة من النافذة الكبيرة. فككت خيوط فردتي حذائي، وخلعت فردة حذائي اليسرى، الأكثر إيلامًا. وحين اقترب النادل لم أتردد في اللحظة الخاطفة من النسيان ومن النعومة التي تمنحها لي مشروب إزارّا الأخضر اللون.

أخرجتُ الظرف من جيبي وتأملتُ الصورتين مليًّا. أين هي الآن؟ هل هي في مقهى، مثلي، جالسة لوحدها إلى طاولة؟ الجملة التي تفوّه بها، منذ قليل، أعطتني هذه الفكرة: «نحاول خلق روابط...» لقاءات في الشارع، في محطة مترو في ساعات الازدحام الشديدة. يتوجب أن يربط الواحد بالآخر بالأغلال في هذه الأوقات. أي رباط يمكنه أن يقاوم هذا السيل الذي يجرف المرء والذي يجعله ينحرف؟ مكتب مجهول حيث يتم إملاء رسالة على عاملة راقنة مؤقتة، طابق أرضي في نويي تحيل جدرانه البيضاء والفارغة إلى ما نسميه «شقّة شاهدة» وحيث لا يبقى أيّ أثر عند المرور... صورتان، واحدة أمامية وأخرى

Telegram: Somrlibrary

جانبية... ومع هاتين الصورتين يتوجب خلق روابط؟ ثمة شخص يستطيع مساعدتي في عملية البحث: بيرنول. لم أعاود رؤيته من الفترة التي كنت ألتقي فيها بليبانت، عدا ما بعد ظهيرة يوم قبل ثلاث سنوات. سوف أركب المترو ثم أعبر ساحة نوتردام. خرج رجل متسكع من أوتيل-ديو وتقاطعنا. كان لابسًا قميصًا مطريًّا بكمّين ممزقين وسروالاً يتوقف فوق كعبيه، فيما كانت رجلاه العاريتان تنتعلان صندلًا عتيقًا. كان حليقًا بشكل سيئ، وكان شعر رأسه الأسود طويلًا جدًّا. ورغم كل هذا فقد تعرّفتُ عليه. بيرنول. تبعتُه بنية التحدث إليه، لكنه كان يحث الخطى. اجتاز الباب الكبير لإدارة الشرطة. ترددت لحظة. لم يكن ثمة من أمل في الإمساك به. فقررت أن أنتظره، هنا، على الرصيف. وعلى كل، فقد كنّا يافِعَيْن، معًا، من قبل.

خرج من الباب نفسه، وهو مرتدٍ معطفًا أزرق غامقًا وسروالًا صوفيًّا وحذاءين سوداوين بزمام. لم يكن الرجل نفسه. بدا وكأنه منزعج حين بادرته بالكلام. بدا حليقًا للتوّ. تمشينا على طول ضفة نهر السين من دون أن يتفوّه أحدنا بكلمة. وما إن جلسنا إلى طاولة في مقهى سولاي دور حتى بدأ في الحديث. لا يزال يشتغل في أعمال جمع معلومات، ليس من شيء كبير، عملُ مُخْبِر وعميل شرطة، وهو يتصنع دور

Telegram: Somrlibrary

متشرد كي يرى بطريقة أفضل وينصت لما يجري من حوله: مخابئ أمام البنايات وفي أسواق الأشياء القديمة والمستعملة، في منطقة بيجال، ومن حول محطات القطارات وحتى في الحي اللاتيني. أظهر ابتسامة حزينة. كان يقطن في استوديو في المقاطعة السادسة عشرة من باريس. أعطاني رقم هاتفه. لم نتحدَّث عن الماضي، ولو للحظة. وضع كيس السفر على المصطبة التي بجانبه. كان سيتفاجأ كثيرًا لو سألتُه عن محتويات الكيس: قميص مطريٌّ مترهل وسروال قصير، وصندل.

Telegram: Somrlibrary

في المساء نفسه الذي عدتُ فيه من هذا الموعد إلى نويي، قمت بمهاتفته. منذ التقائنا الجديد، كنت أعود إليه أحيانًا من أجل المعلومات التي أكون في حاجة إليها. طلبتُ منه أن يبحث لي عن بعض التفاصيل فيما يخص المدعوّة جاكلين ديلانك، الزوجة شورو. لم تكن بحوزتي أشياء كثيرة يمكن لي أن أقولها له عن هذه المرأة، عدا تاريخ ميلادها وتاريخ زواجها مع رجل يُدعى شورو جون-بيير، 11، شارع بريتفيل في نويي، وهو شريك- وكيل لدى زانيتاشي. سَجَّل ما قلته. وتساءل في خيبة: "هذا كل شيء؟". ثم أضاف بصوت مستخفّ: "أفترض أنه لا يوجد شيء في مِفْرش هؤلاء الناس". مفرش. حاولت تخيل غرفة نوم شورو وزوجته،

Telegram: Somrlibrary

هذه الغرفة التي كان يتوجب عليها أن ألقي عليها نظـرة، مـن باب الوعي المهني. غرفة فارغة إلى الأبـد، سريـر لم يتبـقَّ منـه سوى المفرش.

Telegram: Somrlibrary

في الأسابيع التالية هاتفني شورو مرات عديدة. وكان يتحدث دائمًا بصوتٍ خال من أي رنة، وكان ذلك يحدث دائمًا في الساعة السابعة مساء. ربما، في هذه الساعة، وهو وحيد في الطابق الأرضي، كان يحتاج للحديث إلى أحد. كنت أطلب منه أن يصبر. كان عندي انطباع بأنه لم يعد يصدّق الأمر وبأنه سيقبل، شيئًا فشيئًا، اختفاء زوجته. تلقيت رسالة من بيرنول:

عزيزي كيزلي، لا شيء في المفرش. لا فيما يخص شورو ولا ديلانك.

ولكن الصدفة أفضل من ألف ميعاد. أتاح عمل رتيب في الحسابات أُوكِل إليَّ به في دفتر المَحَاضر والمسودات في مركزي

Telegram: Somrlibrary

الشرطة في المقاطعتين، التاسعة والثامنة عشر، أن أعثر على بعض المعلومات التي تخصك.

عثرتُ مرتين على «ديلانك، جاكلين، 15 سنة». مرة في دفتر مسودة في مركز الشرطة بحيّ سانت-جورج، قبل سبع سنوات، ومرة ثانية، بعدها ببضعة أشهر، في مسند درج في مركز شرطة لجراند-كاريير. السبب هو تشرّد الأحداث.

سألتُ ليوني إن كان ثمة أشياء فيما يخص الفنادق. منذ سنتين، نزلت ديلانك جاكلين في فندق سان ريمو، 8 شارع أرمايي في المقاطعة السابعة عشرة، وفي فندق ميتروبول، 13، شارع إتوال، المقاطعة السابعة عشرة. كُتِب في مسندي درج سانت-جورج وجراند-كاريير، أنها كانت تقطن عند أمها، 10 جادة راشيل في المقاطعة الثامنة عشرة.

هي تقطن حاليًا في فندق سافْوَا، 8 شارع شارع سيلس، في المقاطعة الرابعة عشرة. والدتها ماتت قبل أربع سنوات. نسخة من تاريخ ميلادها أخرجت من بلدية فونتين-أون-سولوني (منطقة لوار-إي-شير)، وسأرسل لك نسخة مصورة منها، تشير إلى أنها ولدت من أب مجهول. كانت أمها تشتغل معيّنة للمقاعد في مسرح مولان-روج، وكان لها صديق، ويُدعى جي لافيني، يشتغل في جراج لافونتين، 98 شارع لافونتين في المقاطعة السادسة عشرة ويساعدها ماديًّا.

Telegram: Somrlibrary

ولا يبـــدو أن جاكلـــين ديلانـــك تمـارس مهنـة مـا بـشكل منتظم.

هذا هو، يا عزيزي كيزلي، كل ما استطعت تجميعـه مـن أجلك. أتمنى أن أراك في المرة القادمة، لكن بشرط ألا أكون في بدلة العمل. كان بليمانت سيضحك كثيرًا مـن تنكـري في زي متشرِّد. أما أنت فأفترض أنك ستضحك بدرجة أقـل. وأنـا، لن أضحك على الإطلاق.

لكن مني كل التشجيع

بيرنول

Telegram: Somrlibrary

لم يتبقّ لي سوى أن أهاتف السيد جون-بيير شورو لأقول له بأن اللغز قد انقشع. أحاول أن أتذكر في أية لحظة، بالتحديد، قررتُ ألا أفعل ما كنت بصدده. كنت قد ركبت الأرقام الأولى من هاتفه حين أغلقت السماعة، بصفة مفاجئة. كنت مرهقًا من منظور العودة إلى هذا الطابق الأرضي في نوبي في فترة نهاية ما بعد الظهيرة، مثل المرة الأخيرة، ثم انتظار انسدال الليل بصحبته، تحت المصباح ذي الأباجورة الحمراء. بسطتُ خريطة تاريد **Taride** القديمة لباريس التي أحتفظ بها دائمًا في مكتبي، وفي متناول يدي. ومن فرط استخدامها مزقتها كثيرًا من أطرافها، وكنت، كلّ مرة، أضع لصاقًا بلاستيكيًّا على المكان الممزق، مثلما نضمّد جريحًا. مقهى

كوندي. نويي. حي إتوال. جادة راشيل. ولأول مرة في حياتي المهنية شعرتُ بالحاجة، وأنا أجري التحقيق، إلى أن أسير عكس التيار. نعم، كنت أقطع، في الاتجاه المعاكس، الطريق التي تتبعتها جاكلين ديلانك. ولم تعُد من فائدة تُرْجَى من جون-بيير شورو. لم يكن سوى ممثلاً بدور ثانوي، وكنت أراه يبتعد بصفة نهائية، ومنديل أسود في يده، في اتجاه مكتب زانيتاشي. الشخص المهم الوحيد، في حقيقة الأمر، هو جاكلين ديلانك. مرّ العديد من جاكلين في حياتي... ستكون الأخيرة. ركبت المترو، خط شمال-جنوب، مثلما يُقَال، الطريق التي تربط ما بين جادة راشيل وكوندي. وبقدر ما كانت تعبر المحطات، كنت أستعيد الزمن. نزلت في محطة بيجال. وهنا تمشيت على المصطبة الترابية للبولفار بخطى رشيقة. ما بعد ظهيرة خريفية مشمسة حيث يعشق المرء إنجاز مشاريع مستقبلية وحيث الحياة يمكن أن تبدأ من الصفر. وعلى كل حال، ففي هذه المنطقة بدأت حياة جاكلين ديلانك... بدا لي أنني على موعد معها. على مستوى ساحة بلانش، ازدادت دقات قلبي قليلًا، وأحسست بالتأثر بل وحتى بالخوف. لم أعرف هذا الشعور منذ فترة طويلة. واصلتُ تقدّمي على المصطبة الترابية بخطى متسارعة أكثر فأكثر. كان باستطاعتي أن أتمشى مغمض العينين في هذا الحي الأليف: مولان-روج،

Telegram: Somrlibrary

سانجليي بلو... مَن يدري؟ ربما التقيت بجاكلين ديلانك منذ فترة بعيدة، على الرصيف الأيمن حين تأتي للالتقاء بأمها في مسرح مولان- روج، أو على الرصيف الأيسر عند الخروج من ثانوية جيل-فيري. هكذا، كنت قد وصلتُ. وكنتُ قد نسيت اسم السينما الموجودة في ركن الجادة. تُسمَّى مكسيكو، وليس من الصدفة إن كانت تحمل هذا الاسم. فالاسم يعطي رغبات في السفر وفي الهروب أو الفرار... كنت قد نسيت أيضًا صمت وهدوء جادة راشيل التي تقود إلى المقبرة، ولكن لا أحد يفكر في المقبرة، يقول الناس فيما بينهم بأننا في منتهى الجادة نطل على الريف، بل وبشيء من الحظ ينفُذ على نزهة على شاطئ البحر.

توقفتُ أمام باب رقم 10، وبعد بعض تردد، دخلت في العمارة. أردت أن أدق على الباب الخارجي للحارس، ولكني تماسكتُ. ما الفائدة من الأمر؟ على لافتة صغيرة ملصقة على إحدى مربّعات الباب تظهر بحروف سوداء أسماء المستأجرين وطابق كل واحد منهم. أخرجتُ من جيب سترتي الداخلي كناشي وقلمي وسجلت الأسماء:

ديرلورد (كريستيان)

ديكس (جيزيل)

Telegram: Somrlibrary

دوبوي (مارث)

إزنولت (إيفيت)

جرافيي (أليس)

مانوري (ألبين)

ماريسكا

فان روسترهودت (هوجيت)

زازاني (أوديت)

اسم ديلانك (جونفييف) كان مشطوبًا عليه وتم تعويضه باسم فان روسترهودت (هوجيت). وقد سبق للأم وابنتها أن سكنتا في الطابق الخامس. ولكني وأنا أغلق الدفتر كنت أعرف أن هذا التفاصيل لن تفيدني في شيء.

في الخارج، وفي الدور الأرضي من العمارة، رجل واقف على عتبة متجر قماش يحمل عنوان لا ليكورن. وبما أني كنت أرفع رأسي صوب الطابق الخامس، سمعته يقول لي بصوت حادّ وخافت:

«هل تبحث عن شيء ما، سيدي؟».

كان عليّ أن أطرح عليه سؤالاً بخصوص جونفييف وجاكلين، ولكني كنت أعرف ما كان سيجيبني به، لا شيء

Telegram: Somrlibrary

سوى أشياء سطحية، تفاصيل صغيرة في «السطح»، كما يقول بليهانت، من دون الدخول في عمق الأشياء. يكفي سماع صوته الحاد والخافت ورؤية رأس الفضوليّ التي يمتلكها وقسوة نظرته: لا، لم يكن ثمة من أمل يُرجى منه، عدا «المعلومات» التي يمكن لأي واشٍ بسيط أن يقدمها. أو أنه سيقول لي بأنه لا يعرف جونفييف ولا جاكلين ديلانك. استبد بي غضب جارف تجاه هذا الرجل الذي يشبه وجهه وجه ابن عِرس. هو ربما يمثّل، بالنسبة لي، وبشكل مفاجئ، كل هؤلاء الشهود المدّعين الذين قمت باستنطاقهم أثناء تحقيقاتي والذين لم يفهموا قطّ الأشياء التي رأوها، إن عن غباء أم عن خبث أم عن لا مبالاة. تمشيت بخطى ثقيلة وتسمّرتُ أمامه. تجاوزته بما يقرب من عشرين سنتيمترًا، وقست ضِعْف وزنه.

«ليس للمرء الحق في النظر إلى الواجهات؟».

نظر إليّ بعينيه القاسيتين والخائفتين. كنت أتمنى لو أنني أخفتُهُ أكثر.

وكي أهدئ من خوفي، جلستُ على مقعد في المصطبة الترابية، على مستوى بداية الجادة، مقابل سينما مكسيكو. خلعت فردة حذائي اليسرى.

Telegram: Somrlibrary

الطقسُ مشمس. كنت ضائعًا في أفكاري. تستطيع جاكلين ديلانك أن تعتمد على حفظي للسان، شورو لن يعرف شيئًا عن فندق سافْوا، وعن كوندي والكاراج ولافونتين ولا عن المدعو رولاند، وهو من دون شك الأسمر ذو المعطف المصنوع من جلد الأيّل المشار إليه في الكناش. "لوكي. الاثنين 12 فبراير الحادية عشرة ليلاً. لوكي 28 أبريل الساعة الثانية بعد الزوال. لوكي مع الأسمر ذي المعطف المصنوع من جلد الأيّل." ومن خلال صفحات هذا الدفتر سطّرتُ اسمها كل مرة ورد فيه بالقلم الأزرق، ونسختُ على أوراق منفصلة كلَّ الأدلة التي تخصها. مع التواريخ. والساعات. لم يكن ثمة أيّ سبب للقلق. لن أعود قط إلى كوندي. لقد كنتُ، في الحقيقة، محظوظًا في المرتين أو الثلاث مرات التي انتظرتها على إحدى طاولات هذا المقهى، أنها لم تأتِ في هذا اليوم. كنتُ سأكون منزعجًا لرصدها من دون علمها، نعم، كنتُ سأشعُر بالعار من دوري. بأيّ حقّ ندخل، بواسطة الكسر والتحطيم في حياة الناس وأيّ صَلَف في سبر خاصراتهم وقلوبهم- والطلب منهم أن يدفعوا الحساب... بأي حقّ؟ كنت قد نزعت جوربي وبدأت أدلك رسغ قدمي. بدأ الألم يخف. جنّ الليل. أفترض أنها الساعة التي كانت جونفييف ديلانك، في الماضي، تذهب فيها إلى

Telegram: Somrlibrary

عملها في مولان-روج. ابنتها تبقى وحيدة، في الطابق الخامس. ذات مساء، حين كان عمرها ثلاثة عشر أو أربعة عشر، بعد خروج والدتها، خرجت من العمارة وهي تحرص على ألا تجذب انتباه الحارس. في الخارج، لم تكن قد تجاوزت زاوية الجادة. اكتفت في الفترات الأولى بعرض الساعة العاشرة في سينما مكسيكو. ثم العودة إلى الشقة، صعود الأدراج، من دون أن تستخدم جهاز توقيت إنارة دَرَج العمارة، ثم الباب الذي يتم إغلاقه بأكبر قدر ممكن من الهدوء. ذات ليلة، عند الخروج من السينما، تمشت قليلاً، إلى أن وصلت إلى ساحة بلانش. وكل ليلة، تتقدم أكثر. تشرّد الأحداث، كما كُتِب في دفتر المَحاضر في مركزي الشرطة في حي سانت-جورج وجراند-كاريير، والكلمتان الأخيرتان تستحضران بالنسبة لي مَرْجًا تحت القمر، ما بعد جسر جولانكورت، هناك، خلف المقبرة، مرجٌ يمكن للمرء أن يستنشق فيه الهواء النقي. وقد جاءت أمها للبحث عنها في مركز الشرطة. اندفاعتها خرجت من إسارها ولم يعُدْ بإمكان أي شخص أن يوقفها. تسكع ليلي في اتجاه الغرب، إذا ما حكمتُ على بعض الأدلة التي جمّعها بيرنول. في البداية، حيّ إتوال، ثم الإيغال أكثر إلى الغرب، نويي وغابة بولوني. لكن لماذا تزوجت مع شورو؟ ثم هروب جديد، ولكن هذه المرة في اتجاه الضفة اليسرى من نهر السين،

Telegram: Somrlibrary

كما لو أن عبور النهر يمكن أن يحميها من خطر داهم. ومع ذلك، ألَم يكن هذا الزواج أيضًا حماية لها؟ لو كان لديها الصبر على البقاء في نويي، كنّا سننسى، على مرّ الأيام أنه تحت اسم السيدة جون-بيير شورو تتخفى جاكلين ديلانك التي يرد اسمها مرتين في دفتر المحاضر.

لقد كنتُ، بالفعل، لا أزال سجين ردود فعلي المهنية القديمة، التي كانت تجعل زملائي يقولون بأنني أواصل تحقيقاتي، حتى أثناء نومي. بليمانت كان يقارب بيني وبين هذا المتشرّد، ما بعد الحرب، الذي كان يُسمّى: "الرجل الذي يدخن وهو نائم" كان يحتفظ باستمرار على طرف طاولة نومه طفّاية وعليها وضعت سيجارة مشتعلة. وكان ينام بشكل غير منتظم، وفي واحدة من استيقاظاته القصيرة، يمد يده نحو الطفاية ويسحب سحبات من دخان السيجارة. وحين تنتهي هذه السيجارة يشعل أخرى بحركة مسرنمة. لكنه في الصباح لا يتذكر شيئًا، وهو على قناعة بأنه نام نومًا عميقًا. أنا أيضًا، على هذا المقعد، وقد جنّ الليل، الآن، لديّ الانطباع بأني في حُلم حيث أواصل تتبع خطى جاكلين ديلانك.

أو بالأحرى أُحسّ بحضورها في هذا البولفار الذي تشع أضواؤه مثل علامات، من دون أن أستطيع تفكيكها ومن دون أن أعرف من عمق أيّ سنوات أُرسِلت إليّ. ولا تزال تبدو لي،

Telegram: Somrlibrary

هذه الأضواء، أكثرَ لمعانًا بسبب شبه عتمة المصطبة الترابية. كانت الأضواء في الآن نفسه، زاهية وقصيّة.

لبست جوربي وأدخلت رِجلي في فردة حذائي اليسرى وتركت هذا المقعد حيث كنتُ سأقضي، طواعية، فيه كل الليلة. وتمشيت على طول المصطبة الترابية مثلما كانت في سن الخامسة عشر، قبل أن يُلقى عليها القبض. أين وفي أي وقت أثارت الانتباه إلى شخصها؟

سينتهي الأمر بشورو إلى أن يتعب. سأردّ بعض المرات على اتصالاته الهاتفية وأمنحه بعض الإشارات الفضفاضة- كلها كاذبة، بطبيعة الحال. باريس مدينة كبيرة ومن السهل تضليل شخص ما فيها. عندي سيكون لديَّ الانطباع بأنني جررته إلى مسالك مغلوطة، لن أردَّ قط على اتصالاته. تستطيع جاكلين الاعتماد عليّ. سوف أترك لها الوقت كي تكون، بصفة نهائية، بعيدةً عن المتناول.

هي الأخرى، في هذه اللحظة، تتمشى في مكان ما من المدينة. أو ربما هي جالسة إلى طاولة، في الكوندي. ولكن ليس لديها ما تخاف منه. لن أكون أبدًا في الموعد.

Telegram: Somrlibrary

حين كنتُ في سن الخامسة عشر، مَن رآني تصورني في سن التاسعة عشر. بل وحتى العشرين. لم أكن أدعى لوكي وإنما جاكلين. كنت لا أزال صغيرة جدًّا حين استفدت، لأول مرة، من غياب أمي كي أخرج من البيت. كانت تذهب إلى العمل في الساعة التاسعة ليلًا، ولا تعود إلى المنزل إلا في الساعة الثانية صباحًا. في هذه المرة الأولى كنت قد أعددتُ كذبة في حال ما إذا لمحني الحارس في الدرج. كنت سأقول لها بأني اشتريت دواءً من صيدلية ساحة بلانش.

لم أعُد إلى الحيّ إلا في ذلك المساء الذي رافقني فيه رولاند في التاكسي عند صديق جي دي فير. كان لدينا موعدٌ مع كل الذين يحضرون عادةً إلى الاجتماعات. كنا قد تعارَفْنا للتوّ،

Telegram: Somrlibrary

رولاند وأنا، ولم أجرؤ أن أقول له شيئًا حين أوقف التاكسي في ساحة بلانش. كان يريد أن نتمشى. لم يكن قد لاحظ، ربما، كيف ضغطتُ على ذراعه. كنت مصابة بدوار. كان عندي انطباع بأنه إذا ما اجتزت الساحة فإنه سيغمى عليَّ. كنت خائفة. هو الذي كان يتحدَّث لي في كثير من المرات عن العودة الأبدية كان بإمكانه أن يفهم. نعم، كل شيء يبدأ من جديد، بالنسبة لي، كما أن الموعد مع هؤلاء الناس لم يكن سوى سياقٍ وأنه تم تكليف رولاند بأن يحضرني برفق إلى الحظيرة.

أحسست بالارتياح لأننا لم نمرَّ بالقرب من مسرح مولان-روج. على الرغم من أن أمي كانت قد ماتت قبل أربع سنوات، ولم يكن ثمة شيءٌ أخشاه. كل مرة كنت أنسلت فيها من الشقة ليلاً، في غيابها، كنت أتمشى على الرصيف الآخر من البولفار، أي الواقع في المقاطعة التاسعة. لم يكن يوجد أي ضوء في هذا الرصيف. بناية ثانوية جيل-فيري المظلمة، ثم واجهات البنايات والتي كان ضوء نوافذها منطفئًا، مَطْعم، من رآه كان سيقول بأن القاعة كانت دائمًا في العتمة. وكنت، كل مرة، لا أستطيع منع نفسي من إلقاء نظرة على الجانب الآخر من المصطبة الترابية، على مولان-روج. حين كنت قد وصلتُ إلى مستوى مقهى بالمي وبالتالي سأنفذ إلى ساحة بلانش، لم أكن أحس بطمأنينة كبيرة. الأضواء، من جديد.

Telegram: Somrlibrary

ذات ليلة مررتُ فيها بالقرب من الصيدلية لمحتُ أمي مع زبناء آخرين، من خلف الزجاج. قلتُ في نفسي بأنها قد أنهتْ عملها باكرًا، وأنها ستعود إلى البيت. إذا ما عدوتُ سوف أصل قبلها. تسمَّرتُ في ركن شارع بروكسيل كي أعرف الطريق الذي تسلكه. ولكنها عبرت الساحة وعادت إلى مولان-روج.

كثيرًا كنت أشعر بالخوف، وكي أطمئن نفسي كنت أستطيع أن أذهب عند أمي، ولكني كنت سأزعجها في عملها. أنا متأكدة، اليوم، بأنها ما كانت لتعنّفني؛ لأنها في الليلة التي جاءت فيها لليحث عني في مركز الشرطة بـ جراند-كاريير، لم أتلقَّ منها أيّ عتاب ولا أي تهديد ولا أي درس في الأخلاق. كنا نتمشى في صمت. وفي وسط جسر جولانكور سمعتها تقول بلهجة غير مكترثة: «صغيرتي المسكينة»، ولكني كنت أتساءل إن كانت تتوجه بالحديث إليّ أم إلى نفسها. انتظرتْ حتى أتخلص من ثيابي وأدخل في سريري كي تدخل إلى غرفتي. جلست في طرف السرير وظلت صامتة. أنا أيضًا بقيت صامتة. ثم انتهى بها الأمر إلى أن تبتسم. قالت لي: «لسنا ثرثارتين كثيرًا...» ونظرت إلى عيني. كانت أول مرة تترك لنظرها العنان في النظر إليّ، كما كانت المرة الأولى التي أكتشف فيها أن عينيها صافيتان

Telegram: Somrlibrary

ورماديتان أو أنهما زرقاوان باهتتان. رماديتان-زرقاوان. مالت عليّ وقبّلت وجنتي، أو أنني بالأحرى أحسست بشفتيها بطريقة خاطفة. وظلت هذه النظرة مثبتة عليّ، هذه النظرة الواضحة والغائبة. أطفأت الضوء وقبل أن تغلق الباب قالت: "احرصي على ألا تعاودي الأمر. أعتقد أنها المرة الوحيدة التي حدث فيها اتصال بيننا، خاطف جدًّا، غير موفّق، ومع ذلك فقد كان قويًّا جدًّا لدرجة أنني نادمة على أنه لم يحدث، في الأشهر التالية، اندفاع نحوها كان يمكن له أن يتسبب في هذا الاتصال. ولكننا معًا، أمي وأنا، لم نكن نكشف بسهولة عن مشاعرنا. ربما كانت تظهر اتجاهي هذا الموقف الذي يبدو لامباليًا لأنه لم تكن لديها أوهام فيما يخصني. كانت تقول في نفسها، من دون شك، بأنه ليس ثمة شيءٌ كبير يُرجى لأنني أشبهها.

ولكنني لم أفكر أبدًا في هذه الأشياء، في حينها. كنت أعيش في الحاضر من دون أن أطرح على نفسي الأسئلة. كل شيء تغيّر في ذلك المساء حين أعادني رولاند إلى هذا الحي الذي كنت أتجنبه. لم أكن وضعت عليه قدمي منذ وفاة والدتي. تقدم التاكسي في شارع شوسي-دانتان، ورأيت في أقصى الشارع الكتلة السوداء لكنيسة ترينيتي، مثل عُقاب ضخم يقوم بالحراسة. لم أكن على ما يرام. كما نقترب من الحدود.

Telegram: Somrlibrary

قلت في نفسي إنه يوجد ثمة أملٌ. ربما سنتجه نحو اليسين. لكن الأمر لم يكن كذلك. كنا نسرع بشكل مستقيم، فتجاوزنا سكوار ترينيتي، وصعدنا المنحدر. عند الضوء الأحمر، وقبل أن نصل إلى ساحة كليشي، أوشكت أن أفتح الباب وأهرب. لكني لم أشأ أن أتسبب له في هذا.

لاحقًا، وبعد أن واصلنا مشيًا السير في شارع أبيس نحو العمارة، حيث مكان الموعد، استعدت هدوئي. ومن حسن الحظ أن رولاند لم يلحظ شيئًا. حينها ندمتُ على أننا لا نتمشى كثيرًا، نحن الاثنين، في الحي. كنت أريد أن أتجول به وأن أُريه المكان الذي سكنتُ فيه بالكاد قبل ست سنوات والذي أصبح موغلًا في البعاد، في حياة أخرى... بعد وفاة والدتي، ظلَّ رباط واحد يشدني بهذه الحقبة، شخص يدعى جي لافيني، صديق والدتي. علمت أنه هو الذي كان يدفع إيجار المنزل. لا أزال ألتقي به، من حين لآخر. يشتغل في جراج في منطقة أوتوي. ولكننا لا نتحدَّث عن الماضي تقريبًا. وهو مثل والدتي قليل الكلام. حين نم إحضاري إلى مركز الشرطة، طرحوا عليّ أسئلة كنت مرغمة على الإجابة عنها، ولكني في البداية، كنت أجيب بتردد، مما جعلهم يقولون لي: «أنت، لست ثرثارة»، كما كانوا سيقولون لأمي ولصديقها جي لافيني لو أنهما سقطا بين أيديهم. لم أكن متعودة على تلقي الأسئلة. بل كنت مندهشة

Telegram: Somrlibrary

لكونهم اهتموا بحالتي. المرة الثانية في مركز الشرطة بجراند-كاريير، وهناك تلقاني شرطي أكثر لطافة من الأول فارتحتُ لطريقته في طرح الأسئلة. هكذا كان متاحًا التصريح بالأشياء والتحدث عن الذات، وكان الشخص المقابل مهتمًا بأفعالي وحركاتي. لم أكن متعودة على مثل هذه الحالة ولم أكن أعثر على الكلمات للإجابة، عدا الأسئلة المحددة. مثلاً: كيف كان تمدرسك؟ راهبات سانت-فانسونت دو بول في شارع جولانكور والمدرسة الابتدائية في شارع أنطوانيت. لم أستطع، من الخجل أن أقول له بأنني رُفضتُ في ثانوية جيل-فيري، ولكني تنفست نفسًا عميقًا وصارحته بهذه الحقيقة. مال نحوي وقال لي بصوت هادئ، كما لو يريد أن يقدم لي العزاء: «ليس مهمًا ثانوية جيل-فيري...» وقد فاجأني الأمر كثيرًا إلى درجة أنه في البداية جاءتني رغبة في الضحك. ابتسم لي ونظر إلى عيني، نظرة واضحة كنظرة أمي، ولكن فيها حنان أكثر وانتباه أكبر. ثم سألني أيضًا عن أوضاعي العائلية. شعرت بالثقة ونجحت في مده ببعض المعلومات الهزيلة: تنحدر والدتي من قرية سولوني، هناك حيث كان السيد فوكريت، مدير مولان-روج، يمتلك مزرعة. ولهذا السبب حصلت حين وصلت إلى باريس، وهي لا تزال شابة، على شغل في هذه المؤسسة. لم أكن أعرف مَن هو أبوها. ولدتُ في سولوني

Telegram: Somrlibrary

ولكني لم أعد إليها أبدًا. ولهذا السبب كانت أمي تردد لي دائمًا: «لم نعد نمتلك هيكلًا...». كان ينصت إليَّ ويسجل بعض الملاحظات. أما أنا فكان ينتابني شعورٌ جديد، إذ بقدر ما كنتُ أمنحه هذه التفاصيل الهزيلة كنتُ أتخلص من ثقل ما. لم يعُد هذا الأمر يهمني قط، كنت أتحدَّث عن شخص آخر، وكنت مرتاحة من رؤيته وهو يسجِّل ملاحظات. لو أن كل شيء كان قد انتهى، بكل وضوح، فمعناه أن كل شيء قد انتهى، مثلما هو حال القبور التي حُفرت عليها أسماء وتواريخ. وكنت أتكلم بسرعة، أكثر فأكثر، وكانت الكلمات تتدافع: مولان-روج، جي لافيني، ثانوية جيل-فيري، لاسولوني... لم أستطع من قبل أن أتحدث إلى أحد. يا له من خلاص بينما كل الكلمات تخرج من فمي... كان جزء من حياتي ينتهي، حياة كانت مفروضة عليّ. من الآن فصاعدًا سأكون أنا مَن أقرر مصيري. كل شيء سيبدأ من اليوم، وكي أستعدّ جيدًا للوثوب كنت أحبّ لو أنه شطب على ما كتبه للتوّ. كنت مستعدة لأمنحه تفاصيل وأسماء أخرى وأن أتحدَّث إليه عن عائلة خيالية، عائلة مثلما كنت سأحلم بها.

في نحو الساعة الثانية صباحًا، جاءت أمي لتصطحبني. قال لها بأن الأمر ليست فيه خطورة. كان لا يزال يثبتني بنظره المتنبه. تسكع أحداث، هذا ما كُتِب في السجل. في الخارج،

Telegram: Somrlibrary

كانت سيارة تاكسي تنتظر. حين ألقى عليّ أسئلة بخصوص التمدرس نسيتُ أن أقول له بأني ارتدت، خلال بضعة شهور، مدرسة بعيدة قليلاً وتوجد على نفس رصيف مركز الشرطة. كنت أبقى في كانتين المدرسة وتأتي أمي لاصطحابي في المساء. كانت، أحيانًا، تصل متأخرة، فكنت أنتظرها، جالسة على مقعد في المصطبة الترابية. وهنا، لاحظتُ أن الشارع يحمل اسمين مختلفين من كلا الجانبين. هذه الليلة، جاءت أيضًا لتصطحبني، بالقرب من المدرسة، ولكن في داخل مركز الشرطة، هذه المرة. غريبٌ هذا الشارع الذي يحمل اسمين مختلفين والذي يبدو أنه يريد أن يلعب دورًا في حياتي...

Telegram: Somrlibrary

كانت أمي، من حين لآخر، تلقي نظرة قلقة على عداد التاكسي. وطلبت من السائق أن يتوقف في مكان من شارع جولانكور، وحين أخرجت القطع المالية من كيس نقودها، عرفت أنها لا تملك أكثر مما استطاعت أن تدفعه. وأكملنا باقي الطريق مشيًا على الأقدام. كنت أتمشى أسرع منها، وكنت أتركها خلفي. لكنني كنت أتوقف كي تلحق بي. وعلى الجسر الذي يطل على المقبرة ومن حيث يمكننا إلى الأسفل رؤية العمارة التي نقطن فيها، توقفنا خلال فترة طويلة، وكان عندي الانطباع بأنها تستعيد نَفَسَها، وقالت لي: «أنت تسرعين المشي». اليوم، حضرتني فكرة. كنت أحاول، ربّما، أن أَجُرَّها بعيدًا عن هذه الحياة الضيقة التي كانت عليها حياتها. لو أنها

Telegram: Somrlibrary

كانت لا تزال على قيد الحياة، أعتقد أني كنت سأنجح في تعريفها على آفاق أخرى.

السنوات الثلاثة أو الأربعة التي أعقبت وفاتها، كانت، في معظم الأحيان، المسارات نفسها والشوارع نفسها، على الرغم من أني كنتُ أبتعد أكثر فأكثر. في الفترة الأولى لم أكن أصل حتى إلى ساحة بلانش. كنت بالكاد أحوم حول مجموعة بيوت... في البداية هذه السينما الصغيرة، في زاوية البولفار على بعد أمتار من البناية، حيث يبدأ الفيلم في الساعة العاشرة ليلًا. القاعة كانت فارغة، عدا أيام السبت. كانت أحداث الأفلام تجري في بلدان قصية، مثل المكسيك وأريزونا. لم أكن أعير أي اهتمام بالحبكة، وحدها المَشاهد كانت تنال اهتمامي. وعند انتهاء الفيلم كان ثمة خليط غريب في رأسي بين الأريزونا وبولفار كليشي. ألوان عناوين المحلات المضاءة والنيون كانت تشبه نظيراتها في الفيلم: برتقالية وزمردية (خضراء ناضرة) وأزرق ليلي وأصفر رملي، ألوان عنيفة جدًّا تمنحني الإحساس بأني أتواجد دائمًا في الفيلم أو في حلم. حلم أم كابوس، حسب الظروف. في البدء، كان الأمر يتعلق بكوابيس لأني كنتُ أخاف ولم أكن أجرؤ على المضي بعيدًا. لم يكن الأمر بسبب أمي. لو أنها فاجأتني في البولفار، في منتصف الليل، وحيدة، كان سيصدر منها، بالكاد، كلمة لوم. كانت ستطلب مني أن

Telegram: Somrlibrary

أعود إلى البيت، بصوتها الهادئ، كما لو أنها لم تتفاجأ من وجودي خارج البيت في هذه الساعة المتأخرة. أعتقد أنني أتمشى على الرصيف الآخر لأني أحسّ أن أمّي لم تعد تستطيع أن تفعل شيئًا من أجلي.

أول مرة تم اعتقالي فيها، حدثت في المقاطعة الباريسية التاسعة في بداية شارع دُووي، في هذه المخبزة التي تظل مفتوحة طوال الليل. كان الوقت في حدود الساعة الواحدة صباحًا، وكنت واقفةً إلى إحدى الطاولات العالية وكنت آكل فطيرة هلالية. وفي مثل هذا الوقت من الليل يمكن دائمًا العثور على أناس غريبي الأطوار في هذه المخبزة، وهم في الغالب يأتون من المقهى المقابل، الذي يُدعى لو-سانس-سوسي. دخل شرطيان في لباس مدني للتحقيق في أوراق الهُويّة. لم تكن معي أوراق هوية، وأرادوا معرفة سني. فضَّلت أن أقول الحقيقة. أصعدوني إلى سيارتهم بصحبة رجل أشقر طويل يلبس سترة مصنوعة من جلد الخروف المقلوب. كان يبدو أنه يعرف رجال الشرطة. ربما كان واحدًا منهم. في لحظة ما منحني سيجارة، لكن أحد الشرطيين منعه من ذلك: «إنها صغيرة السنّ... التدخين مضرّ للصحة». بدا لي كما لو أن الشرطيين يخاطبانه بضمير المفرد.

Telegram: Somrlibrary

في مكتب مركز الشرطة، طلبوا مني اسمي العائلي والشخصي وتاريخ ميلادي وعنواني، ودوّنوها في سجلّ. قلت لهم إن أمّي تشتغل في مولان-روج. قال أحد الشرطيين، في ثيابه المدنية: «إذًا سوف نهاتفها». الشرطي الذي كان يدوِّن في السجل منحه رقم هاتف مسرح مولان-روج. وَضَع الرقم وهو ينظر في عينيّ. كنت في وضعية غير مريحة. قال: «هل أستطيع التحدُّث إلى السيدة جونفييف ديلانك؟»، وكان لا يزال ينظر بشكل مستقيم في عينيّ. ثم سمعته يقول: «لا... لا تزعجوها...» وأغلق السماعة. وها هو الآن يبتسم في وجهي. أراد أن يخيفني. قال لي: «انتهى الأمر، بالنسبة لهذه المرة، ولكني سأكون مضطرًا، في المرة المقبلة، لإخبار والدتك». نهض من مقعده وخرجنا من مركز الشرطة. وكان الرجل الأشقر دو السترة المصنوعة من جلد الخروف المقلوب ينتظر على الرصيف. أركبوني في المقعد الخلفي للسيارة. قال لي الشرطي في اللباس المدني: «سنصطحبك إلى بيتك». الآن أصبح يخاطبني بصيغة المفرد. نزل الرجل الأسمر ذو السترة المصنوعة من جلد الخروف المقلوب من السيارة في ساحة بلانش، أمام الصيدلية. كان الأمر غريبًا أن أتواجد وحدي في المقعد الخلفي مع هذا الشخص الذي يقود السيارة. توقف أمام باب العمارة، وقال لي، بصيغة الجمع، مرة أخرى: «هيّا

Telegram: Somrlibrary

اذهبي لتنامي، ولا تعاودي ما فعلتيه». أعتقد أنني تمتمتُ بجملة: «شكرًا، سيدي». تمشيت نحو باب المدخل الرئيس، وفي لحظة فتح الباب، استدرتُ خلفي. كان قد أوقف محرك السيارة ولم يغادرني بعينيه، كما لو أنه يريد أن يتأكد من دخولي إلى العمارة. نظرت من نافذة غرفتي، وكانت السيارة لا تزال واقفة. انتظرتُ، جبهتي ملتصقة بزجاج النافذة، وأنا كلي فضول كي أعرف كم يستطيع أن ينتظر. سمعت أزيز المحرك قبل أن تدور السيارة وتختفي من زاوية الشارع. عاودني شعور القلق الذي يستبد بي في كثير من الليالي، والتي كانت أقوى من الخوف، إنه إحساس بأني تُركتُ مع نفسي من دون أي حق للرجوع. لا أمي ولا أي شخص آخر. كنت أتمنى لو أنه بقي في الحراسة طول الليل أمام العمارة، طول هذه الليلة والليالي القادمة، مثل حارس، أو بالأحرى مثل ملاكٍ حارسٍ يحرسني.

لكن القلق كان يختفي في مساءات أخرى، فأنتظر، بفارغ الصبر، خروج والدتي كي أخرج. أنزل الدرج وقلبي يدق بقوة، كما لو أني أذهب إلى موعد. ليست ثمة حاجة لاصطناع كذبة للحارسة ولا للبحث عن مبررات أو طلب أذونات. مِنْ مَنْ؟ ولماذا؟ لم أكُن متأكدة من العودة إلى الشقة. في الخارج، لم أكن أتتبع الرصيف المُظلَّل، ولكن رصيف مولان-روج. الأضواء تبدو لي أكثر عنفًا من أضواء أفلام مكسيكو. تستولي

Telegram: Somrlibrary

عليّ ثمالة، خفيفة جدًّا... أحسست بواحدة مثلها حين تناولتُ كأس شمبانيا في مقهى سانت-سوسي. كانت الحياة أمامي. كيف استطعتُ أن أنكمش على نفسي وأنا أتلمّس الحيطان؟ خائفة من ماذا؟ سوف أتعرَّف على الناس. يكفي أن أَلِجَ في أي مقهى.

تعرفت على فتاة، تكبرني قليلًا، وتُدعى جانيت جول. ذات ليلة كنت أعاني من صداع نصف الرأس فدخلت في صيدلية ساحة بلانش لشراء دواء فيجانين وقارورة أثير. وحين جاء الدفع اكتشفت أني لا أملك نقودًا. هذه الفتاة الشقراء ذات الشعر القصير والتي كانت تلبس معطفًا مطريًّا، والتي التقى نظري بنظرها- عيناها خضراوان- تقدَّمت نحو صندوق الدفع ودفعت من أجلي. كنت محرجةً، ولم أعرف كيف أشكرها. اقترحت عليها أن ترافقني إلى شقتي كي أعوضها مالها. كنت أتوفر على قليل من المال في طاولة نومي. قالت لي: «لا... لا... المرة المقبلة» هي أيضًا كانت تقطن الحي، لكن في الأسفل. كانت تنظر إليّ بعينيها الخضراوين. اقترحت عليَّ أن أتناول مشروبًا بصحبتها، بالقرب من منزلها، ووجدنا نفسينا في مقهى- أو بالأحرى في حانة في شارع لاروشفوكولد. أجواء هذه الحانة لا علاقة لها بأجواء مقهى كوندي. الحيطان كانت بتلبيس خشبي واضح، مثل

Telegram: Somrlibrary

الكونطوار والطاولات، ونوع من لوح زجاج ملوّن يطل على الشارع. مقاعد من المخمل الأحمر الداكن. الضوء مخفف. وخلف الكونطوار تقف سيدة شقراء في الأربعين من عمرها تعرفها جانيت جول جيدًا لأنها تناديها بسوزان وتتحدَّث معها بضمير المفرد. قَدَّمَتْ لنا كأسين من بيمس شامبانيا.

قالت لي جانيت جول: «في صحتك». كانت لا تزال تبتسم وكان عندي الانطباع بأن عينيها الخضراوين تتفحصاني للتخمين فيما يدور في خلدي. سألتني:

– هل تسكنين في هذا الحي؟

– نعم. في الأعلى.

كانت توجد مناطق متعددة في الحيّ الذي أعرف كل حدوده، بما فيها الحدود اللامرئية. وبما أني كنت خائفة شيئًا ما ولم أكن أعرف ما الذي عليّ قوله، فقد أضفتُ: «نعم، أقيم في الأعلى. هنا، لسنا سوى في المنحدرات الأولى». قطّبت حاجبيها. «المنحدرات الأولى؟» هاتان الكلمتان أثارتا فضولَها، لكنها لم تفقد ابتسامتها. هل كان تأثير بيمس شامبانيا؟ ذاب خجلي. شرحتُ لها ما الذي تعنيه كلمتا «المنحدرات الأولى»، هذا التعبير الذي تعلّمتُهُ مثل كل أطفال مدارس الحيّ. انطلاقًا من الحديقة الصغيرة العامة لاترينيتي

Telegram: Somrlibrary

تبدأ «المنحدرات الأولى». المنحدرات لا تتوقف عن الصعود إلى أن تصل إلى قصر برووياردس ومقبرة سانت-فانسونت، قبل أن تعاود النزول نحو كلينيانكورت، في الشمال.

قالت لي: «أنتِ تعرفين كثيرًا من الأشياء». وأصبحت ابتسامتها ساخرة. تحدَّثت إليّ بصيغة المفرد، بشكل مفاجئ، ولكن الأمر بدا لي طبيعيًّا. طلبت من سوزان كأسين أخريين. لم أكن متعودة على تناول المشروبات الروحية، والكأس الأولى كانت كافية. لكني لم أجرؤ على الرفض. وكي أنتهي من الكأس بسرعة تجرعت الشامبانيا بجرعة واحدة. كانت لا تزال تنظر إليّ، في صمت.

«هل تدرسين؟».

ترددتُ قبل الإجابة. حلمت دائمًا أن أكون طالبة، بسبب الكلمة التي أعتبرها راقية. لكن هذا الحلم كان قد أصبح صعب التحقيق بالنسبة لي في اليوم الذي رُفِض فيه طلبي للالتحاق بثانوية جيل-فيري. هل هي الثقة التي منحتني إياها الشامبانيا؟ مِلتُ نحوها، وربما كي أقنعها بشكل أفضل، قَرَّبت وجهي من وجهها:

«نعم، أنا طالبة».

Telegram: Somrlibrary

هذه المرة الأولى لم أُلاحظ فيه وجود زبناء من حولنا. لا مقارنة مع مقهى لو كوندي. إذا لم أخْشَ من العثور على بعض الأشباح، فسوف أعود، عن طيب خاطر، ذات ليلة إلى هذا المكان كي أفهم جيدًا من أين أتيت. لكن يتوجب توخّي الحذر. وعلى أي حال فمن الممكن أن أجد الباب موصدًا. تغيّر المالك. كل هذا لم يكن له كثير من المستقبل.

«ماذا تدرسين؟»

أخذتني على حين غرة. ولكن سذاجة نظراتها شجعتني. لم تكن تتصور بالتأكيد أنني أكذب.

«في اللغات الشرقية».

بدا وكأنها تأثرت من جوابي. ولم تطلب مني، من بعد، تفاصيل عن دراستي في اللغات الشرقية، ولا توقيت الدروس، ولا موقع المدرسة. كان عليها أن تكتشف أنني لا أرتاد أي مدرسة. ولكن الأمر، في نظري، كان بالنسبة لها ولي أيضًا، نوعًا من ألقاب الشرف التي أحملها، والتي نرثها من دون حاجة إلى فعل شيء. وكانت تقدمني إلى كل مَن يرتاد حانة شارع لاروشفوكولد باعتباري «طالبة» وربما لا يزالون يتذكرونني هناك.

Telegram: Somrlibrary

اصطحبتني هذه الليلة إلى منزلي. وبدوري، أحببت أن أعرف ما تفعله في الحياة. قالت لي بأنها كانت راقصة، لكنها بعد حادثة اضطرت إلى أن تتوقف عن هذه المهنة. راقصة كلاسيكية؟ لا، ليس تحديدًا، على الرغم من أنها تلقّت تكوينًا في الرقص الكلاسيكي. واليوم أطرح على نفسي سؤالًا ما كان ليخطر على بالي أبدًا في تلك اللحظة: هل كانت راقصةً بقدر ما كنتُ، أنا، طالبة؟ تتبعنا شارع فونتين في اتجاه ساحة بلانش. أوضحت لي أنها في «هذه الأوقات» تعمل «شريكة» مع المدعُوّة سوزان، وهي صديقة قديمة لها وتعتبرها نوعًا ما «أخت كبيرة». تشتغلان معًا في المكان الذي اصطحبتني إليه هذا المساء، والذي هو مطعم في الآن نفسه.

سألتني إن كنت أسكن وحدي. نعم، وحيدة مع أمي. أرادت أن تعرف مهنة والدتي. لم أتلفظ بكلمة «مولان-روج». أجبتها بجفاء: «خبيرة-محاسبة». على كل حال فإن كان باستطاعتها أن تصبح «خبيرة-محاسبة». كانت تمتلك الجدية والرصانة.

افترقنا عند باب العمارة الرئيسة. لم أكن أعود، كل ليلة، إلى هذه الشقة عن طيب خاطر. كنت أعرف أنه في يوم وآخر سأغادرها بصفة نهائية. كنت أضع ثقة كبيرة في مثل هذه المواعيد التي سوف أجريها والتي ستضع حدًّا لعزلتي. هذه

Telegram: Somrlibrary

الفتاة كانت أولى لقاءاتي، وربما ستساعدني على أن أنطلق بعيدًا.

قلت لها: «هل سنلتقي غدًا؟». بدت مذهولة من سؤالي. طرحت عليها السؤال بطريقة مفاجئة ومن دون أن أنجح في إخفاء قلقي.

«بطبيعة الحال. متى تشائين...»

ألقت عليّ ابتسامة حنونة وساخرة، الابتسامة نفسها التي صدرت منها منذ قليل، حين كنتُ أفسّر لها معنى «المنحدرات الأولى».

لديَّ ثقوب في الذاكرة. أو بالأحرى بعض التفاصيل التي تعود إلى ذهني في فوضى. لم أشأ قط، منذ خمس سنوات، أن أفكر في كل هذا. وكان يكفي أن تمر سيارة التاكسي من هذا الشارع حتى أعثر من جديد على الواجهات المضاءة- روّاد الملاهي الليلية، والمهرّجون-... لم أعد أدري كيف يُسمَّى المكان الموجود في شارع لاروشفوكولد. هل هو روج- كلواتر؟ أم شي دانتي؟ أم لوكانتير؟ نعم، لوكانتير. ما كان لأي واحد من رواد لوكوندي أن يرتاد لوكانتير. توجد في الحياة حدود لا يمكن تخطيها. ومع ذلك تفاجأت جدًّا، خلال المرات الأولى التي دخلت فيها لوكوندي، من تعرفي على زبون

Telegram: Somrlibrary

سبق لي أن رأيتُه في لوكانتير، وهذا الشخص يُدعى رافائيل ويُعرف بلقب جاكوار... لم أكن أستطيع، في الحقيقة، أن أخمن بكونه كاتبًا... لا شيء يميّزه عن الذين يلعبون الورق والألعاب الأخرى في القاعة الصغيرة الموجودة في أقصى المقهى، خلف السياج الحديدي المطروق... تعرفتُ عليه. أمّا هو فقد أحسستُ أن وجهي لا يُوحي له بشيء. هذا أفضل. يا له من شعور بالارتياح...

لم أفهم أبدًا ما كان دور جانيت جول في لوكانتير. كانت في معظم الأوقات تسجل الطلبات وتقوم بخدمة الزبناء. كانت تجلس إلى طاولاتهم، وكانت تعرف معظمهم. قدّمت لي رجلاً أسمر طويلاً بملامح شرقية، وهو يرتدي ملابس أنيقة، وكان يبدو من مظهره أنه حصل على تعليم عالٍ، ويدعى أكّاد Accad، وهو ابن لطبيب في الحي. وكان دائمًا مرافقًا من قبل صديقين، جودينجير وماريو باي. أحيانًا، كانوا يلعبون الورق وألعابًا أخرى مع رجال أكبر سنًّا، في القاعة الصغيرة الموجودة في أقصى المقهى. ويدوم الأمر إلى حدود الساعة الخامسة صباحًا. أحد اللاعبين كان، على ما يبدو، المالك الحقيقي لمقهى لوكانتير. كان في الخمسين من عمره وشعر رأسه كان رماديًّا وقصيرًا، وكان في أزهى ملابس، هو الآخر، وكانت قسماته صارمة وقد قالت لي عنه جانيت بأنه كان «محاميًّا في السابق».

Telegram: Somrlibrary

أتذكر اسمه: موشيلّيني. وكان، من حين لآخر، ينهض من مجلسه ويلتحق بسوزان خلف الكونطوار. في بعض الليالي كان هو من يشتغل مكانها، وكان يقدم بنفسه المشروبات، كما لو أنه يوجد في بيته وكما لو أن الزبناء كانوا مدعوّيه. كان ينادي على جانيت بـ «صغيرتي» أو «رأس الميت» من دون أن أعرف السبب، وفي المرات الأولى التي أتيت فيها إلى كانتير كان ينظر إليّ ببعض الحذر. ذات ليلة، سأل عن سنّي. زدت في عمري، وقلت له: «إحدى وعشرون سنة». راقبني وهو يقطب حاجبيه، لم يصدقني. «هل أنتِ واثقة من سن الحادية والعشرين؟» ازداد حرجي أكثر فأكثر وكنت على استعداد لمصارحته بعمري الحقيقي، ولكن نظره فقد فجأة كل صرامته. ابتسم في وجهي وهزّ كتفيه وقال: «طيب، لنقل إحدى وعشرين سنة».

كان لجانيت بعض الميل نحو ماريو باي. كان يضع نظارات ملونة بلون خفيف، ولكن لم يكن في الأمر أدنى تكلف. الضوء كان يسبب له آلامًا في العينين. في البداية كانت جانيت تعتقد أنه عازف بيانو، وقالت لي بأنه من هؤلاء الذين يعزفون في كافو أو في بلييل. كان في الثلاثين من عمره، مثل أكاد وكودينجير. لكنه إن لم يكن عازف بيانو، فماذا يفعل في حياته؟ وقد كان هو وأكّاد على علاقة وثيقة بموشيليني.

Telegram: Somrlibrary

وحسب جانيت فقد اشتغلا مع موشيليني حين كان لايزال يشتغل محاميًا. ومنذ تلك الحقبة فهما لايزالان يشتغلان معه. في ماذا؟ قالت لي: في شركات. لكن الذي تعنيه كلمة «شركات»؟ كانوا يدعوننا إلى طاولاتهم في كانتير، وكانت جانيت تدَّعي أن أكاد مُغرمٌ بي. منذ البداية، أحسستُ أنها تريد لو أني أصبح صديقة معه، ربما كي تتوطد علاقاتها مع ماريو باي. أما أنا، فبالأحرى، كنت أحسّ أن كودينجير هو الذي يجدني على مذاقه. كان أسمر مثل أكّاد، ولكنه أطول منه. كانت جانيت تعرفه بدرجة أقل قياسًا مع صديقيه. كان ثريًّا جيدًا فيما يبدو، وكان يمتلك سيارة يوقفها أمام كانتير. كان يقيم في الفندق، ويسافر كثيرًا إلى بلجيكا.

ثقوب سوداء. ثم تفاصيل تقفز إلى ذاكرتي، تفاصيل دقيقة بقدر ما هي تافهة. كان يقيم في الفندق ويسافر كثيرًا إلى بلجيكا. في ذلك المساء رددتُ هذه الجملة الغبية مثل لازمة همهمة ندندن بها في الظلام حتى نُطمْئِن أنفسنا. لماذا ينادي موشيليني جانيت برأس الميت؟ تفاصيل تخفي أخرى، أكثر قسوة. أتذكر ذات ما بعد ظهيرة، قبل بضع سنوات، زارتني جانيت في نويي. حدث الأمر بعدما يقرب من خمسة عشر يومًا بعد زواجي مع جون-بيير شورو. لم أستطع قط أن أدعوه باسم غير اسمه، جون-بيير شورو، ومن دون شك لأنه كان

Telegram: Somrlibrary

أكبر سنًا مني، وأنه هو أيضًا كان يناديني بميم الجمع. دقت الباب ثلاث مرات، كما طلبت منها أن تفعل. في لحظة ما، أردت ألا أجيبها، كان الأمر سيكون غباء، كانت تعرف رقم هاتفي وعنواني. دخلتْ وهي تنزلق من شقّ الباب كما لو أنها تدخل بطريق الخداع إلى الشقة لسرقتها. وهي في الصالون، ألقت نظرها على ما حولها، على الحيطان البيضاء، على الطاولة الواطئة، على كومة المجلات، المصباح ذي الأباجورة الحمراء، على بورتريه والدة جون-بيير شورو، فوق الكنبة. لم تقل شيئًا. كانت تهز رأسها. كانت تحرص على زيارة أمكنة الشقة. وقد بدا أنها أصيبت بالذهول حين عرفت أن جون-بيير شورو وأنا، كل واحد ينام في غرفة لوحده. في غرفتي، استلقينا معًا على السرير.

قالت لي جانيت، وهي تغرق في الضحك: «إذًا، فهو من عائلة كريمة».

لم أكن رأيتها منذ فندق شارع أرمايي. ضحكها يربكني. كنت أخشى أن تعيدني إلى الوراء، إلى فترة كانتير. إلا أنها حين قدمت العام الماضي، شارع أرمايي، لزيارتي، أعلنت لي عن قطع علاقاتها مع الآخرين.

«غرفة حقيقية لامرأة شابة...».

Telegram: Somrlibrary

على الصوانة صورة جون-بيير شورو في إطار نحاسي أحمر رمّاني. نهضت ومالت نحو الإطار.

«إنه بالأحرى رجل جميل... لكن لماذا تنامين في غرفة لوحدك؟»

من جديد، استلقت بجانبي على السرير. حينها قلت لها بأنني أفضل أن أراه في مكان آخر على أن أراه هنا. كنت أخاف أن تحس بالضيق في حضور جون-بيير شورو، فلا نستطيع حينها أن نتحدث مع بعضنا في حرية.

«أنتِ تخافين من أن آتي لرؤيتك مع آخرين؟».

ضحكتْ ولكن ضحكها كان أقلّ صراحة من السابق. صحيح، كنت خائفة، حتى في نوبي، من الالتقاء بأكّاد. كنت مندهشة من كونه لم يعثر على أثري حين أقمت في الفندق، في شارع إتوال، ثم شارع أرمايي.

«كوني هادئة... هم غادروا باريس منذ فترة طويلة... إنهم في المغرب...».

داعبتْ جبهتي كما لو أنها تريد أن تهدِّئ من روعي.

«أفترض أنك لم تتحدَّثي مع زوجك عن حفلات في كاباسود **Cabassud**».

Telegram: Somrlibrary

لم يكن في حديثها، الذي صدر عنها للتوّ، أدنى سخرية. على العكس، تأثرتُ من رنة صوتها الحزينة. كان ماريو باي، صديقها، الشخص ذو النظارات الملونة لونًا خفيفًا وذو أصابع عازف البيانو هو الذي يستخدم تعبير «حفلات» حين كانا يصطحباننا، أكاد وأنا، لقضاء الليل في كاباسود، وهو نُزُلٌ بالقرب من باريس.

«الأمر هادئ، هنا... ليس كما هو الشأن في كاباسود... هل تتذكرين؟».

تفاصيل كنتُ أريد أن أغمض عينيّ عنها كما هو الشأن إزاء ضوء حادّ. إلا أنه، في المرة الأخيرة، حين غادَرْنا أصدقاء جي دي فير وكنت راجعة إلى مونتمارتر مع رولاند، تركت عينيّ مفتوحتين. كل شيء كان واضحًا جدًّا، وباترًا جدًّا، ضوء زاهٍ يخطف بصري وانتهى بي الأمر إلى أن تعودت عليه. ذات ليلة في كانتير، وجدت نفسي في هذا الضوء نفسه مع جانيت إلى طاولة، بالقرب من المدخل. لم يكن ثمة أحد عدا موشيليني والآخرين الذين يلعبون الورق في القاعة القصية، خلف السياج. كان قد مضى وقتٌ طويل على عودة أمي إلى البيت. وكنت أتساءلُ إن كانت قلقة من غيابي. أتأسف على هذه الليلة التي جاءت فيها للبحث عني في مركز الشرطة في كراند-كاريير. انطلاقًا من الآن كان عندي الإحساس المسبق

Telegram: Somrlibrary

بأنها لن تستطيع أبدًا القدوم للبحث عني. كنت بعيدة جدًّا. قلق كان يستبد بي وكنت أحاول أن أحتويه والذي منعني من التنفس. قربت جانيت وجهها من وجهي.

«أنت شاحبة جدًّا... ألست على ما يرام؟».

كنت أحاول أن أبتسم كي أطمئنها، ولكن كان الانطباع بأني أقطّب وجهي.

«لا... لا شيء...».

منذ أن غادرت الشقة، ليلاً، كنت أتعرَّض لنوبات ذعر خاطفة، أو بالأحرى «انخفاض الجهد»، كما قال صيدلي ساحة بلانش، ذات مساء حين حاولت أن أشرح له ما أحس به. لكن كلما نطقت بكلمة بدت لي مغلوطة وغير مهمة. من الأفضل التزام الصمت. إحساس بالفراغ استولى عليّ في الشارع، فجأة. المرة الأولى، حدث الأمر أمام محل بيع التبغ، بعد تجاوز مقهى لوسيرانو. كان كثير من الناس يمرون من هنا، ولكن الأمر لم يبعث في نفسي الطمأنينة. كان سيُغْمى عليّ وكانوا يُواصلون المشي بشكل مستقيم من دون أن يعيروني أي اهتمام. انخفاض الجهد. انقطاع التيار. يجب عليّ أن أبذل مجهودًا حول نفسي كي أعيد عقد الخيوط. في هذا المساء، كنت قد دخلت محل بيع السجائر واشتريت طوابع بريدية

Telegram: Somrlibrary

وبطاقات بريدية وقلمًا وعلبة سجائر. جلست في الكونطوار، تناولت بطاقة بريدية وطفقت أكتب. «قليلاً من الصبر. أعتقد أن الأمور تسير نحو الأفضل». أشعلت سيجارة وألصقت طابعًا بريديًّا على البطاقة. لكن، لمن أوجهها؟ كنت أتمنى أن أكتب بضع كلمات على كل واحدة من البطاقات، كلمات واثقة: «الطقس جميل، أقضي عطلة رائعة، أتمنى أن تكون أحوالكم على ما يرام. أقبلكم». جلست في الصباح الباكر على رصيف مقهى، على شاطئ البحر. وكتبت بطاقات بريدية إلى أصدقائي.

سألتني جانيت: «بم تشعرين؟ هل تحسّين بتحسن؟». وكان وجهها أكثر قربًا من وجهي.

«هل تريدين أن نخرج كي نستنشق الهواء؟»

لم يَبْد لي الشارع مقفرًا وصامتًا، مثلما بدا لي الآن. كان مضاءً بمصابيح قادمة من زمن آخر. كان يكفي صعود المنحدر كي نلتقي، على مبعدة مئات من الأمتار، بحشود مساء السبت والواجهات المضيئة التي تعلن عن «أجمل عراة العالم» وحافلات السياح أمام مولان-روج... كنت خائفة من كل هذا الهيجان. قلت لجانيت:

«يمكن أن نبقى في نصف المنحدر...»

Telegram: Somrlibrary

تمشينا إلى أن بلغنا المكان الذي تبدأ فيه الأضواءُ، مفترق الطرق في نهاية شارع نوتردام-دي-لوريت. لكننا رجعنا أدراجنا وتتبعنا اتجاهًا معاكسًا لمنحدر الشارع. كنت أحسّ شيئًا فشيئًا بالارتياح وأنا أنزل هذا المنحدر، من جهة الظل. يكفي أن نترك الأمور تسير على هواها. جانيت كانت تشد على ذراعي. أوشكنا أن نصل إلى أسفل المنحدر، في تقاطع لاتور-دي-دامس. قالت لي:

«ألا تريدين أن نتعرَّض لقليل من الثلج؟».

لم أفهم المعنى الدقيق لهذه الجملة، ولكن كلمة «ثلج» أثارتني. كان يتملكني الانطباع أنه سيتساقط من لحظة إلى أخرى ويجعل الصمت من حولنا أكثر عمقًا. لن نسمع سوى صرير خطانا على الثلج. ساعة تدقّ في مكان ما، ولا أعرف السبب، اعتقدت أنها تعلن قدّاس منتصف الليل. جانيت تقودني. تركت نفسي أنقاد لها. تتبعنا شارع أومال الذي كانت كل عماراته مظلمة. مَن رآه سيقول بأن هذه العمارات تشكّل الواجهة السوداء نفسها من كل جهة ومن طرف إلى آخر من الشارع.

«تعاليْ إلى غرفتي... سنتناول قليلاً من الثلج...».

بمجرد أن نصل سأطلب منها أن تفسر لي ما الذي تعنيه: «نتناول قليلاً من الثلج». كان الطقس باردًا جدًّا بسبب هذه

Telegram: Somrlibrary

الواجهات السوداء. هل كنتُ أُوجَد في حلم حتى أسمع صدى خطانا بمثل هذا الوضوح؟

لاحقًا، كنت أتتبع دائمًا الطريق نفسه، إما وحيدة أو معها. كنت أذهب لرؤيتها في غرفتها أثناء النهار، أو أقضي الليل عندها حين يتأخر بنا الوقت في كانتير. كانت غرفتها توجد في فندق يوجد في شارع لافيرير، وهو شارع يكوّن عطفة حيث يحس المرء أنه بعيد عن كل الضجيج، في منطقة المنحدرات الأولى. مصعد بباب مسيج. يصعد ببطء. كانت تقيم في الطابق الأخير، أو ما فوق. ربما لم يكن المصعد يتوقف هناك. همست في أذني:

«سوف ترين... سيكون الأمر رائعًا... سنتعرض لقليل من الثلج...».

كانت يداها ترتجفان. في الممر المعتم، كانت تشعر بعصبية إلى درجة أنها لم تنجح في إيلاج المفتاح في القفل.

«هيّا... حاولي... أنا لا أستطيع...».

أصبح صوتها متقطعًا، أكثر فأكثر. وقد سقط المفتاح من بين يديها. ملت لالتقاطه بحذر. نجحت في إدخاله. الغرفة كانت مضاءة. ضوء أصفر يتساقط من مصباح السقف. السرير كان في حالة فوضى، والستائر مرفوعة. جلستْ على

Telegram: Somrlibrary

طـرف الـسرير وطفقـت تفـتش في درج في طاولـة النـوم، وأخرجت منه علبة ميكانيكية. طلبت مني أن أستنشق هـذا المسحوق الأبيض الذي تطلق عليه اسم «الثلج». بعـد مـرور وقـت قـصير منحنـي هـذا المـسحوق إحـساسا بـالطراوة والرشاقة. جاءني اليقين بأن القلق والـشعور بـالفراغ اللـذين استبدا بي في الشارع لـن يعـودا أبـدًا. ومنـذ أن تحـدَّث معـي صيدلي ساحة بلانش عن انخفـاض الجهـد كنـت أعتقـد أنـه يتوجب عليَّ أن أصمد وأن أناضل ضد نفسي، وأن أحـاول أن أتحكم في نفسي. لكننا لا نـستطيع شـيئًا، لقـد تمـت تربيتنـا في الخـشونة. المـشي أو المـوت. إذا مـا سـقطتُ، فـإن الآخـرين سيواصـلون المـشي في بولفـار كليـشي. لا يجـب عـليَّ التعلـق بالأوهام. ولكن الأحوال تتغير، من الآن فصاعدًا. وعلى كـل فإن شوارع وحدود الحي تبدو لي، بشكل مفاجئ، ضيقة جدًّا.

مكتبة-وراقة بولفار كليـشي تظـل مفتوحـة إلى الـساعة الواحدة صباحًا. ماتيي. اسم بسيط للواجهـة. هـل هـو اسـم رب المكتبة؟ لم أجرؤ أبدًا على سؤال هذا الرجل الأسمر الذي يملك شاربين وبدلة برانس-دي-غال (أمير الغـال) والـذي يجلس دائمًا خلف مكتبه، وهو منهمـك في القـراءة. كـل مـرة يقطع زبناء قراءته حين يشترون منه بطاقـات بريديـة أو دفـتر ورق رسائل. في تلك الساعة التي كنت آتي فيها، لم يكن يتبـقّ

Telegram: Somrlibrary

زبناء تقريبًا، عدا بعض الأشخاص الذين يخرجون من (حانة) «مينوي شانسو» الموجودة بالقرب من المكتبة-الوراقة. كنا، في معظم الأحيان، وحيدين، هو وأنا. على الواجهة كانت موضوعة بشكل دائم الكتب نفسها التي عرفت على الفور أنها روايات خيال علمي. نصحني بقراءتها. أتذكر عنوان بعض منها: حصاة في السماء، العابرة السرية. قرصان الفراغ. لم أحتفظ منها سوى بواحدة: الكريستال الذي يحلم.

على اليمين، على الرفوف بالقرب من الواجهة الزجاجية، تمّ ترتيب كتب مستعملة وهي مكرَّسة لعلم الفلك. وقد اكتشفتُ من بينها كتابًا بغلاف برتقالي، ممزق نصفه، ويحمل عنوان: «سفر في اللانهائي». لا أزال أمتلك هذا الكتاب. في مساء ذلك اليوم الذي أردت شراءه فيه، وكان يوم سبت، كنت الزبون الوحيد في المكتبة، وكان ضجيج الشارع بالكاد يصل إلى الداخل. خلف الواجهة الزجاجية، كان ممكنًا رؤية بعض عناوين المحلات المضاءة وحتى العنوان الأبيض والأزرق لـ «أجمل عراة العالَم» ولكنها كانت تبدو قصية جدًّا... لم أكن أجرؤ على إزعاج هذا الرجل المنهمك في القراءة، وهو جالس، ورأسه مائلة. ظللت صامتة خلال عشر دقائق قبل أن يدير رأسه نحوي. مددت له الكتاب. ابتسم: «هذا الكتاب، جيد. جيد جدًا... سفر في اللانهائي...» كنت

Telegram: Somrlibrary

أتأهب لدفع ثمن الكتاب، لكنه رفع ذراعه، وهو يقول: «لا لا... إني أمنحه لك... أتمنى لك سفرًا ميمونًا...».

نعم، لم تكن هذه المكتبة فقط ملاذًا بل كانت أيضًا محطة في حياتي. كنت أظل فيها، في كثير من الأحيان، إلى ساعة الإغلاق. كان ثمة مقعد بالقرب من الرفوف، أو كان بالأحْرى إسْكملة كبيرة[1] كنت أجلس عليه من أجل تصفح الكتب والألبومات المصوَّرة. كنت أتساءل إن كان على علم بوجودي. بعد بضعة أيام، ومن دون أن يتوقف عن قراءته، ينطلق بجملة، وهي دائمًا الجملة نفسها: «إذًا، هل تجدين سعادتك؟» لاحقًا، قال لي أحد الأشخاص، وبكثير من الثقة في النفس، بأن الشيء الوحيد الذي لا يمكننا تذكُّره هو رنة الأصوات. إلا أنني، لا أزال اليوم، وخلال ليالي الأرق التي أعيشها، أسمع كثيرًا الصوت ذا النبرة الباريسية- صوت الشوارع المنحدرة- وهو يقول لي: «إذًا، هل تجدين سعادتك؟» هذه الجملة لم تفقد شيئًا من لطافتها ومن لغزها.

في المساء، ولدى الخروج من المكتبة، كنت مندهشة من تواجدي في بولفار كليشي. لم تكن عندي رغبة كبيرة في النزول

(1) إسكملة: مقعد صغير من دون ظهر ولا ساعدين.

Telegram: Somrlibrary

حتى الكانتير. كانت خطاي تجرّني نحو الأعلى. أحس الآن بلذة في صعود المنحدرات أو الأدراج. أحصي كل خطوة. عند الرقم 30، عرفتُ أنه تم تخليصي. بعد فترة طويلة من الآن، دفعني جي دي فير إلى قراءة كتاب «الآفاق الضائعة»، قصة الناس الذين يتسلقون مرتفعات التبت نحو دير شانجري-لا من أجل تعلم أسرار الحياة والحكمة. لكن لا حاجة للذهاب بعيدًا جدًّا. كنت أتذكر نزهاتي في الليل. مونتمارتر، بالنسبة لي، كان هو التبت. كان يكفيني منحدر شارع جولانكور. في الأعلى، أمام قصر برويبارد، تنفست لأول مرة في حياتي. ذات يوم كنت فيه مع جانيت، وهربت من كانتير، عند الفجر. كنا ننتظر أكاد وماريو باي اللذين كانا يريدان اصطحابنا إلى كاباسود بصحبة جودينجير وفتاة أخرى. كنت أختنق. ابتدعتُ مبررًا للخروج لاستنشاق الهواء. وطفقت أعدو. كانت عناوين المحلات، في عين المكان، مضاءةً، وحتى عنوان محل مولان-روج. تركت نفسي تمتلئ بثُمالة ما كان للمشروبات الكحولية ولا للثلج أن يمنحاني إياها أبدًا. صعدت المنحدر إلى قصر برويبارد. كنت مصممة جدًّا على ألا أرى أبدًا عصابة كانتير. لاحقًا، كنت أحسّ بالثمالة نفسها كلما قطعت علاقاتي مع أحد الأشخاص. لم أكنْ نفسي، بشكل حقيقي، إلا في اللحظة التي أهرب فيها. ذكرياتي الجيدة

Telegram: Somrlibrary

الوحيدة هي ذكريات الهروب والفرار. ولكن الحياة تنتصر دائمًا. حين وصلتُ إلى ممر بروبيارد، كنت على ثقة بأن شخصًا ما على موعد معي وأن هذا الموعد سيكون انطلاقة جديدة. ثمة شارع، في الأعلى قليلاً، أحب دائمًا أن أعود إليه من يوم لآخر. تتبعته هذا الصباح. هنا كان يتوجب أن يحدث الموعد. لكني لم أكن أعرف رقم العمارة. ليس الأمر مهمًّا. كنت أنتظر علامة تدلني عليها. هناك، ينفذ الشارع على الفضاء الرحب، كما لو أنه يقود إلى شفا منحدر صخري. تقدمت بهذا الشعور بالرشاقة الذي يستبد بالمرء في الأحلام، أحيانًا. لم يعد ثمة خوف من أي شيء، كل الأخطار تافهة. إذا جرت هذه الأشياء بشكل سيئ، فما على المرء سوى أن يستيقظ. المرءُ لا يمكن هزيمته. كنت أتمشى وأنا مستعجلة للوصول إلى النهاية، هناك حيث لا يوجد سوى زرقة السماء والفراغ. أي كلمة تترجم حالتي النفسية؟ لا أمتلك إلا مفردات زهيدة. ثمالة؟ انتشاء؟ انخطاف؟ على كل حال، هذا الشارع أليف إلى نفسي. بدا لي أنني تتبعته من قبل. سوف أصل قريبًا إلى شفا المنحدر الصخري وأقفز في الفراغ. أي سعادة في السباحة في الفضاء وفي أن يعرف المرء، أخيرًا، إحساس بانعدام الجاذبية الذي كنت أبحث عنه دائمًا. أتذكر بكثير من الوضوح هذا الصباح وهذا الشارع والسماء في نهاية...

Telegram: Somrlibrary

ثم إن الحياة واصلت مسيرها بأتراحها وأفراحها. في يـوم كآبة، استبدلتُ، بقلم، الاسم الشخصي في غلاف كتاب «لويز العدم» الذي أعارني إيّاه جي دي فير، باسم «جاكلين العدم».

Telegram: Somrlibrary

في هذا المساء، كنا كمِثْل مَن يحضر حفلة استحضار للأرواح. كنا مجتمعين في مكتب جي دي فير وكان قد أطفأ المصباح. أو ببساطة، حدث انقطاع للتيار الكهربائي. كنا نسمع صوته في الظلام. وكان يتلو علينا نصًّا كان سيقرؤه علينا لو كنا في الضوء. ولكني لست عادلة، إذْ كان جي دي فير سيكون مصدومًا لو أنه سمعني أتحدث عن موضوع «الطاولات الدوّارة». إنه يستحق أفضل من هذا. كان سيقول برنة فيها عتاب رقيق: «هيّا! يا رولاند...».

أوقد شموع شمعدان كبير مشعب كان يوجد فوق الموقد، ثم جلس، من جديد، خلف مكتبه. وكنا نجلس على المقاعد المقابلة له، هذه الفتاة وأنا وزوجي في الأربعينيات من

Telegram: Somrlibrary

عمره، وكان الزوجي في هندام جميل وملامح بورجوازية، وكان لقائي به هنا لأول مرة.

أدرتُ وجهي نحوها، فالتقت نظراتنا. كان جي دي فير لا يزال يتكلم، صدره مائل، بشكل خفيف، ولكنه طبيعي، تقريبًا برنة حديث مألوف. في كل اجتماع يقرأ نصًّا يقدم لنا، لاحقًا، نُسَخًا مستنسخة. احتفظتُ بنسخة هذا المساء. كانت عندي نقطة مَعْلَم. أعطتني رقم هاتفها وسجّلته في أسفل الورقة، بالقلم الأحمر.

«أقصى درجة في التركيز يتم تحقيقها والمرء نائم والعينان مغمضتان. ولدى أدنى تمظهر خارجي، يبدأ التشتت والانتشار. عند الوقوف، تنزع السيقان جزءًا من القوة. العيون المفتوحة تخفض من التركيز...».

استطعت بالكاد أن أوقف قهقهتي، وأتذكر ذلك لأنه لم يحدث لي من قبل أبدًا. ولكن ضوء الشموع يمنح لهذه القراءة مهابة كبيرة. كان نظري يلتقي كثيرًا نظرها. ولم تكن لها، فيما يبدو، رغبة في الضحك. بل العكس، كانت تبدو في بالغ الاحترام، بل كانت قلقة لأنها لم تكن تفهم معنى الكلمات. انتهى بها الأمر إلى أن تنقل إليَّ هذه الرزانة. شعرتُ الخجل تقريبًا من ردة فعلي الأولى. بالكاد جرأت على تخيّل الإرباك الذي كنت سألقى به لو أنني انفجرت ضاحكًا. في نظرها

Telegram: Somrlibrary

كنت أعتقد أني رأيت طلبًا للنجدة، تساؤلاً. هل أنا جديرٌ بالتواجد معكم؟ شبك جي دي فير أصابعه. بدأ صوته يكتسي رنة خفيضة، وكان يثبّتها بعينيه كما لو أنه لا يتوجه بالحديث إلا إليها. كانت متحجرة من الأمر. ربما كانت تخشى أن يوجه إليها سؤالاً مرتجلاً، من قبيل: «وأنت، أريد أن أعرف رأيك في الموضوع».

عاد الضوء. ظللنا لبعض الوقت في المكتب، وهو أمر غير عادي. كانت الاجتماعات تجرى دائمًا في الصالون وكانت تجمع ما يقرب عشرة أشخاص. في هذا المساء، لم يكن سوى أربعة أشخاص، ففضّل جي دي فير، من دون شك، أن يستقبلنا في مكتبه، بسبب العدد الصغير. وقد تم الأمر بناءً على موعد بسيط، من دون حاجة إلى الدعوة المألوفة التي يتلقاها المرء في منزله أو التي يتلقاها في مكتبة فيجا، إن كان المرء من روّادها. ومثلما أحتفظ بالعديد من النسخ المستنسخة فكذلك أحتفظ ببعض هذه الدعوات، وقد سقطت البارحة واحدةٌ منها بين يدي:

الأعزّ رولاند

جي دي فير

سيكون سعيدًا باستقبالكم

Telegram: Somrlibrary

الخميس 16 يناير على الساعة الثامنة مساء

5 سكوار لوفندال (باريس الخامسة عشر)

العمارة الثانية، يسارًا

الطابق الثالث، على اليسار

البريستول الأبيض، دائمًا من الحجم نفسه، والحروف المزخرفة (بالسلك) كان بإمكانها أن تعلن عن لقاء اجتماعي أو عن كوكتيل أو عيد ميلاد.

في هذا المساء، رافقنا إلى باب الشقة. جي دي فير والزوجيّ الذي أتى لأول مرة كانوا يكبروننا بأكثر من عشرين سنة. وبما أن المصعد كان صغيرًا جدًّا، ولا يتحمل أربعة أشخاص، فقد نزلنا، هي وأنا، على الدرج.

طريقٌ خاص محاط ببنايات متشابهة ذات واجهات ذات لون رصاصي مائل إلى حمرة. نفس الأبواب الحديدية المصبية تحت مصباح. نفس صفوف النوافذ. ما إن نتجاوز السياج حتى نجد أنفسنا أمام الحديقة الصغيرة في شارع ألكسندر-كابانيل. حرصت على كتابة هذا الاسم؛ لأنه هنا التقى طريقانا. ظللنا، خلال لحظة، جامدَين وسط هذه الحديقة الصغيرة ونحن نبحث عن كلمات نتبادلها. أنا مَن قطعتُ الصمت:

Telegram: Somrlibrary

«هل تقطنين في هذا الحي؟

لا، أقطن بجانب منطقة إتْوال.

كنتُ أبحث عن مبرر كي لا أغادرها على الفور. «يمكننا أن نقتسم جزءًا من الطريق».

كنا نتمشى تحت الجسر، على طول بولفارجرونيل. اقترحت عليّ أن نقطع مشيًا خط المترو الفضائي الذي يؤدي إلى إتْوال. وإذا ما أحسّت بالتعب، فهي تستطيع دائمًا أن تقطع باقي الطريق في المترو. ربما كان يوم أحد مساء أو يوم عطلة. لم يكن ثمة من حركة مرور للسيارات، وكل المقاهي كانت مغلقة. في كل الأحوال، وحسب ذكرياتي، كنا، في هذه الليلة، في مدينة مقفرة. حين أفكّر، الآن، في ذلك اللقاء، يبدو مثل لقاء بين شخصين لم يكن لهما أي رسوّ بالحياة. أعتقد أننا كنّا وحيدين في العالَم.

سألتها:

«هل تعرفين جي دي فير، منذ فترة طويلة؟

لا. عرفته في بداية هذه السنة، عن طريق صديق. وأنت؟

عرفته في مكتبة فيجا».

Telegram: Somrlibrary

كانت لا تعرف وجود هذه المكتبة في بولفار سان-ميشيل التي كانت واجهتها تحمل هذه الكتابة بحروف زرقاء: استشراق وديانات مقارنة. في هذا المكان سمعت لأول مرة اسم جي دي فير. ذات مساء، قدّم لي الكتبيّ بريستول دعوة وهو يقول لي بأنه في إمكاني حضور الاجتماع. «إن هذا الاجتماع يناسب أناسًا مثلك، بشكل كامل». كنت أود لو أني سألته عمّا يعنيه بـ «يناسب أناسًا مثلك». كان ينظر إليّ بنوع من اللطافة ولا يبدو أن الأمر فيه تحقيرٌ. بل إنه اقترح أن «يُوصي» بي جي دي فير.

«وهل هي جيدة، مكتبة فيجا؟»

طرحت عليَّ السؤال برنة فيها سخرية. ولكن، ربما، كانت لكنتها الباريسية هي التي تمنحني هذا الانطباع.

«يمكن أن نعثر فيها على كثير من الكتب المهمة. سوف أصطحبك إليها».

كنت أريد أن أعرف نوعية قراءاتها والذي جذبها إلى اجتماعات جي دي فير. أول كتاب نصحها بقراءته كان هو كتاب «آفاق ضائعة». وقد قرأته بكثير من الانتباه. وقد وصلت إلى الاجتماع السابق قبل الجميع، فأدخلها دي فير إلى مكتبه. بحث في رفوف مكتبته التي تحتل حائطَيْن بأكملهما عن كتاب آخر يعيره إياها. بعد لحظة، وكما لو أن فكرة جاءت

Telegram: Somrlibrary

فجأة إلى ذهنه، اتجه نحو مكتبه وتناول كتابًا كان يوجد بين كومة من الملفات والرسائل كانت في حالة من فوضى. قال لها: «تستطيعين قراءة هذا الكتاب. لديَّ فضولٌ لمعرفة رأيك فيه». كانت فزعة جدًّا. يتحدَّث دي فير دائمًا مع الآخرين كما لو أنهم كانوا في مثل ذكائه وتكوينه. إلى متى؟ سينتهي به الأمر إلى أن يكتشف أننا لسنا في مستواه. الكتاب الذي منحه إياها، في ذلك المساء، يحمل عنوان: «لويز العدم». لا، لم أكن أعرفه. كان قصة حياة لويز العدم، وهي راهبة، مع كل الرسائل التي كتبتها. لم تكن تقرأ الكتاب في تسلسل صفحاته، كانت تفتح الكتاب عن طريق الصدفة. وقد تأثرت كثيرًا من قراءتها لبعض الصفحات. تأثرها كان أكبر من قراءتها لكتاب «آفاق ضائعة». قبل أن تتعرف على دي فير سبق لها أن قرأت روايات الخيال العلمي مثل رواية «الكريستال الذي يحلم». وقرأت كتبًا في علم الفلك. يا لها من صدفة... أنا أيضًا أعشق كثيرًا علم الفلك.

في محطة المترو بير-حكيم، تساءلت إن كانت ستركب في المترو أم أنها لا تزال تريد أن تتمشى وتقطع نهر السين. من فوقنا، ووفق فترات منتظمة، كان ضجيج عربات المترو. فسلكنا الطريق تحت الجسر.

قلتُ لها:

Telegram: Somrlibrary

«أنا أيضًا أقطن في إتْوال. ربما غير بعيد جدًّا عن سكنك».

كانت تتردد. كانت تريد، من دون شك، أن تبوح لي بشيء يزعجها.

«أنا في الحقيقة، متزوجة... وأقيم عند زوجي في نويي...».

كان يبدو كما لو أنها اعترفت لي بجريمة.

«وهل أنتما متزوجان منذ فترة طويلة؟

لا. ليس من فترة طويلة... منذ شهر أبريل من العام الماضي...».

تمشينا من جديد. كنا قد وصلنا إلى وسط الجسر، إلى مستوى الدرج الذي يقود إلى ممر سيجنيس l'allée des cygnes. اندفعتْ نحو الدرج وتبعتها. نزلت الدرجات بخطى واثقة، كما لو أنها تذهب إلى موعد. وأصبحت تحدثني، أكثر فأكثر، بسرعة.

«في فترة معينة، كنت أبحث عن شغل... عثرت على إعلان... وكان الأمر يتعلق بسكرتيرة مؤقتة...».

لما وصلنا إلى الأسفل، تتبعنا ممر سيجنيس. من كلا الجانبين يوجد نهر السين وأضواء الأرصفة. كان لديّ

Telegram: Somrlibrary

الانطباع بأني أوجد على جسر النزهة لقارب جانح في عز الليل.

«في المكتب، ثمة رجل شغّلني... كان لطيفًا معي... كان أكبر سنًّا مني... بعد بعض الوقت، أراد أن يتزوج...».

كانت تبدو وكأنها تبحث عن تبرير تجاه صديق طفولة، لم تعد تملك عنه أي أخبار منذ فترة طويلة، وأنها التقت به، صدفة، في الشارع.

«لكنك، أنت، هل كان يروق لكِ أن تتزوجي؟»

حرّكت كتفيها، كما لو أنني تلفّظتُ بكلام سخيف. في كل لحظة، كنتُ أنتظر منها أن تقول: «ها، أنت الذي تعرفني جيدًا...».

بعد كل شيء، ربما عرفتُها في حياة سابقة.

«كان يقول لي دائمًا إنه يريد لي الخير... هذا صحيح... إنه يريد لي الخير... إنه يتصرف قليلاً مثل أبي...».

اعتقدت أنها تنتظر نصيحة من طرفي. من دون شك، لم تكن متعودة على الإفصاح عن أسرارها.

«لا يرافقك أبدًا إلى الاجتماعات؟

لا. إنه له انشغالات كثيرة».

Telegram: Somrlibrary

التقتْ جي دي فير عن طريق صديق طفولة لزوجها. اصطحب زوجُها دي فير إلى بيتهما في نويي. منحتني كل هذه التفاصيل، مُقطّبة الحاجبين، كما لو كانت تخشى أن تنسى بعضها، حتى أكثرها تفاهة.

وصلنا إلى نهاية الممر، مقابل تمثال الحرية. مقعد على اليمين. لست أدري مَن منّا اتخذ مبادرة الجلوس على المقعد، أو ربما جاءتنا الفكرة نفسها معًا في الآن نفسه. سألتها إن لم يكن يتوجب عليها أن تدخل إلى منزلها. كانت هي المرة الثالثة أو الرابعة التي تحضر فيها اجتماعات جي دي فير، وتجد نفسها في نحو الساعة الحادية عشرة ليلاً أمام درج محطة كامبرون للمترو. وكل مرة أمام منظور العودة إلى نويي تحس بنوع من الإحباط. ، فقد حُكِم عليها من الآن فصاعدًا أن تركب دائمًا المترو في الخط نفسه. تغيير في محطة إتوال، ثم نزول في محطة سابلونس...

كنت أحسّ باحتكاك كتفها بكتفي. قالت لي إنه بعد هذا العشاء حيث التقت بجي دي فير لأول مرة دعاها لحضور محاضرة ألقاها في قاعة صغيرة في أوديون. في هذا اليوم كان موضوع المحاضرة يتعلق بـ «ظهيرة مظلمة» و«الضوء الأخضر». عند خروجها من القاعة، تمشت، من دون هدى، في الحي. كانت تسبح في هذا الضوء الأخضر والصافي الذي تحدث عنه جي دي فير. الساعة الخامسة مساءً. كانت ثمة

Telegram: Somrlibrary

حركة مرور كثيفة في البولفار وفي تقاطع الطرق في أوديون، وكان الناس يتدافعون أنها كانت تسير عكس التيار، ولم تُرِدْ أن تنزل معهم درجات محطة المترو. شارع مقفرٌ يصعد، بهدوء، إلى حديقة لوكسمبورج. وهناك، في نصف منحدر، دخلت مقهى، في زاوية عمارة: لوكوندي. «هل تعرف لوكوندي؟» سألتني، فجأة، بصيغة المفرد. لا. لا أعرف الكوندي. لا أحب، والحق يُقال، حيّ ليزيكول. إنه يذكرني بطفولتي وبمهاجع ثانوية طُرِدْتُ منها ومطعم جامعي بالقرب من شارع دوفين، حيث كنت مرغمًا على ارتياده ببطاقة طالب مزورة. كنت أتلظى من الجوع. ثم كانت تلتجئ، في كثير من الأحيان، إلى الكوندي. تعرفتْ، بسرعة، على معظم رواد المقهى، وبشكل خاص، على كاتبين: موريس رافائيل وأرثور آداموف. هل سمعت عنه؟ نعم. كنت أعرف مَنْ يكون آداموف. بل إني رأيتُهُ، مرات عديدة، بالقرب من سانت-جوليان-لو-بوفر. كان نظرُه قلقًا. بل أقول إنه كان نظرًا مذعورًا. كان يتمشى من دون جوارب. لم تكن قرأتْ أي كتاب لآداموف. كان يطلب منها، أحيانًا، في الكوندي، أن ترافقه إلى فندقه؛ لأنه كان يخشى المشي وحده، في الليل. ومنذ أن بدأت ترتاد المقهى، منحها الآخرون لقبًا. كانت تُدعى جاكلين، ولكنهم يدعونها الآن بلوكي. لو أردتُ، لعرّفتني

Telegram: Somrlibrary

على آداموف والآخرين. وأيضًا، على جيمي كامبيل، وهو مغني إنجليزي. وعلى صديق تونسي، علي شريف. نستطيع أن نلتقي، خلال النهار، في الكوندي. هي تذهب إلى المقهى حتى في المساء، حين يكون زوجها غائبًا. هو يعود في معظم الأحيان، متأخرًا، من عمله. رفعت رأسها نحوي، وبعد لحظة تردد، قالت لي بأنه في كل مرة يصبح الأمر أكثر صعوبة عليها في العودة إلى بيت زوجها في نويي. كانت تبدو مهمومة ولم تنطق بعد بأي كلمة.

إنها ساعة المترو الأخير. كنا وحيدين في عربة المترو. وقبل أن تغيّر المترو في إتوال، أعطتني رقم هاتفها.

Telegram: Somrlibrary

لحد اليوم، يحدث لي أن أسمع، في المساء، صوتًا يناديني باسمي في الشارع. صوت أجشّ. تجرّ قليلاً المقاطع اللفظية فأتعرف عليها على الفور: إنه صوت لوكي. أدور، ولكن لا أحد. ليس فقط في المساء، بل في جوف ساعات ما بعد الظهيرة في الصيف حيث لا يعرف المرء في أية سنة يوجد. كل شيء سيبدأ من جديد، كما من قبل. نفس الأيام ونفس الليالي ونفس الأمكنة ونفس اللقاءات. العودة الأبدية.

كثيرًا ما أسمع الصوت في أحلامي. كل شيء دقيقٌ جدًّا- حتى في أدنى التفاصيل- إلى درجة أنني أتساءل، في اليقظة، كيف أن هذا الأمر ممكن. في ليلة سابقة، رأيتُ في منامي أني أخرج من عمارة جي دي فير، في الساعة نفسها التي خرجنا

Telegram: Somrlibrary

فيها، لوكي وأنا، للمرة الأولى. نظرت إلى ساعتي. الحادية عشرة ليلاً. في إحدى نوافذ الطابق الأرضي كان يوجد لبلاب. تجاوزت الحاجز المشبك وعبرت حديقة كامبرون الصغيرة في اتجاه المترو الهوائي حين سمعت صوت لوكي. كانت تناديني: «رولاند...» مرتين. أحسستُ بالسخرية في صوتها. كانت تسخر من اسمي، في البداية، وهو اسم لم يكن لي. اخترته لتبسيط الأمور، اسم شخصي يصلح في كل مناسبة، ويمكن أن أستخدمه أيضًا كاسم عائلي. رولاند، اسم عمليّ. بالإضافة إلى أنه اسم فرنسي، بشكل حقيقي. اسمي الحقيقي كان أكثر غرابة. في هذه الفترة كنت أتحاشى تسليط الاهتمام عليّ. «رولاند...» التفتُّ. لا أحد. كنت وسط الحديقة الصغيرة، مثل المرة الأولى التي لم نكن نعرف فيها أي شيء نقوله لبعضنا. حينما استيقظتُ قررت التوجه إلى محل السكن السابق لجي دي فير لأتحقق من وجود لبلاب في نافذة الطابق الأرضي. ركبت المترو إلى كامبرون. كان هو خط المترو نفسه الذي تتبعه حين تعود إلى بيت زوجها في نويي. كنت أصطحبها وكنا ننزل، في كثير من الأحيان، في محطة أرجنتين، بالقرب من الفندق الذي كنت أقيم فيه. كل مرة، كانت تتمنى أن تظل طول الليل في غرفتي، ولكنها كانت تبذل الجهد الأخير وتعود إلى نويي... ثم إنها، في إحدى الليالي، ظلت في غرفتي، في منطقة أرجنتين.

Telegram: Somrlibrary

شعرتُ بإحساس غريب وأنا أتمشى صباحًا في حديقة كامبرون الصغيرة، لأننا كنا دائمًا نتوجه، ليلاً، إلى بيت جي دي فير. دفعت الحاجز المُشبَّك وقلت في نفسي إنه لا يوجد أدنى حظ في اللقاء به بعد كل هذا الوقت. لم تعد مكتبة فيجا قائمة في بولفار سان-جيرمان، ولم يعد جي دي فير موجودًا في باريس. ولا لوكي. لكن اللبلاب كان موجودًا في نافذة الطابق الأرضي، كما رأيته في منامي. الأمر تسبب لي في اضطراب كبير. هل كان الأمر، تلك الليلة، يتعلق، حقيقة، بحلم؟ بقيت، خلال بعض الوقت، متجمدًا أمام النافذة. تمنيت سماع صوت لوكي. ستناديني مرة أخرى. لا. لا شيء. الصمت. لكن لم يكن لديّ، بالمطلق، الانطباعُ بأن الوقت تغير منذ فترة جي دي فير. على العكس تجمّد في نوع من الأبدية. تذكرت نصًّا حاولت كتابته حين تعرفت على لوكي. أطلقت عليه اسم، المناطق المحايدة. توجد في باريس مناطق وسطى، مناطق غير مأهولة حيث كنّا على أطراف كل شيء، في مناطق مرور، أو مُعلَّقة. نتمتع فيها ببعض الحصانة. كان بإمكاني أن أطلق عليها مناطق حرة، ولكن المناطق المحايدة كانت أكثر دقة. ذات مساء، في مقهى لوكوندي، طلبت من موريس رافائيل رأيه، باعتباره كاتبًا. حرّك كتفيه ووجه إليّ ابتسامة ساخرة: «أنت مَن يتوجب عليك أن تعرف، يا صاحبي...

Telegram: Somrlibrary

لست أدري بالتحديد مُرادك... لنقل «محايدة» ولا نَتكلَّمَنَّ عن هذا بعد الآن...» حديقة كامبرون الصغيرة والحي الموجود ما بين سيجير وديبليكس، كل هذه الشوارع التي تنفذ على معابر المترو الهوائي تتعلق بهذه المنطقة المحايدة، ولم يكن من قبيل الصدفة أنني التقيت لوكي فيها.

أضعت هذا النص. خمس صفحات رقنتها على الآلة الكاتبة التي أعارني إياها زاكاريـاس، وهو من رواد مقهى كوندي. كنت قد كتبت في الإهداء: من أجل لوكي المناطق المحايدة. لا أعرف رأيها في هذا العمل. لا أعتقد أنها قرأت النص حتى النهاية. كان نصًّا مثبّطًا، بعض الشيء، للعزم، عدًّا للمقاطعات الباريسية مع الشوارع التي تحدّد هذه المناطق المحايدة. أحيانًا، مجموعة بيوت، أو مدى واسعًا جدًّا. ذات يوم، ما بعد ظهيرة، كنا معًا في الكوندي، قالت لي، وكانت قد قرأت للتو إهدائي: «هل تعرف، يا رولاند، أننا نستطيع الذهاب للإقامة، خلال أسبوع، في كل واحد من الأحياء التي تتحدَّث عنها...».

شارع أرجنتين حيث أستأجرُ غرفة في فندق يقع بالتأكيد في منطقة محايدة. مَن هو الذي يستطيع المجيء للبحث عني في هذا الشارع؟ الأشخاص القلائل الذين كنت ألتقيهم هناك من الممكن أنهم أصبحوا أمواتًا بالنسبة للحالة المدنية. ذات

Telegram: Somrlibrary

يوم وأنا أتصفح صحيفة قرأت في زاوية «إعلانات قضائية» مقالة صغيرة عنوانها: «إعلان غياب». شخص يُدعى تاريد لم يظهر في سكنه ولا سُمعت أخبارُهُ منذ ثلاثين سنة، وقررت المحكمة الابتدائية الكبرى أن تعلن أنه «غائب». أريتُ هذا الإعلان للوكي. كنّا في غرفتي، شارع أرجنتين. قلت لها إني متأكدٌ من أن هذا الشخص كان يقطن في الشارع مع نحو عشرة أشخاص تمّ إعلانهم «غائبين»، هم أيضًا. على كل فإن جميع البنايات المجاورة لفندقي تحمل كلها كتابة: «بنايات مؤثثة». أمكنة عبور لا يُطلب فيها هوية أحد وحيث يمكن للمرء أن يختبئ بها. في هذا اليوم احتفلنا مع الآخرين في الكوندي بعيد ميلاد لاهوبا. وقد دفعونا للشراب. وحين عدنا إلى الغرفة كنا ثملين بعض الشيء. فتحتُ النافذة. وناديت بأعلى صوت ممكن: «تاريد ! تاريد !...» الشارع كان مقفرًا وكان هذا الاسم يرنّ بطريقة غريبة. كان يُخيّل إليّ أن الصدى يُرجّعُهُ. اقتربت لوكي مني وصرخت هي الأخرى: «تاريد ! تاريد !...» مزحة طفولية كانت تدفعنا للضحك. لكن انتهى بي الأمر إلى الاعتقاد بأن هذا الرجل سيظهر من جديد وأننا سنعيد الحياة إلى كل الغائبين الذين ينتابون هذا الشارع. بعد بعض الوقت جاء حارس الفندق الليلي وطرق باب الغرفة. قال بصوت منبعث من القبر: «من فضلكم،

Telegram: Somrlibrary

بعض الهدوء». سمعناه ينزل الدرج من خلال وقع خطاه الثقيلة. حينها استنتجت أنه، هو الآخر، غائبٌ مثل المدعو تاريد وكل الذين يختبئون في العمارات المؤثثة في شارع أرجنتين.

كنتُ أفكر فيه كلما حاذيت هذا الشارع كي أدخل إلى غرفتي. قالت لي لوكي بأنها قبل أن تتزوج أقامت، هي أيضًا، في فندقين في هذا الحي، باتجاه الشمال قليلاً، في شارع أرمابي ثم في شارع إتوال. في تلك الحقبة ربما تقاطعنا من دون أن يرى أحدنا الآخر.

Telegram: Somrlibrary

أتذكر ذلك المساء الذي قررتْ فيه ألا تعود إلى زوجها. في ذلك اليوم عرَّفَتني، في الكوندي، على آدامو وعلي شريف. كنت أحمل آلة الكتابة التي أعارني إياها زاكارياس. كنت أريد البداية في رقن نصّ «المناطق المحايدة».

وضعتُ الآلة على الطاولة الصغيرة المصنوعة من صنوبر المَناقع في الغرفة. وكانت تدور في رأسي الجملة الأولى: «تمتلك المناطق المحايدة على الأقل هذا الامتياز: إنها ليست سوى نقطة انطلاق، ونغادرها يومًا أو آخر». كنت أعرف أن لا شيء، أمام الآلة الكاتبة، سيكون بسيطًا. يتوجب من دون شك شطب هذه الجملة. والجملة التالية. على الرغم من أنني كنت ممتلئًا بالشجاعة.

Telegram: Somrlibrary

كان يتوجب عليها أن تدخل إلى بيتها في نـويي للعـشاء، لكنها في الساعة الثامنة، لـيلاً، كانـت لا تـزال مـستلقية عـلى السرير. لم تشعل مصباح السرير. انتهى بيّ الأمر أن ذكرتها بأن الساعة حانت.

«ساعة ماذا؟»

من رنة صوتها أدركتُ أنها لن تركب أبدًا المترو كي تنزل في محطة سابلونس. عمّ صمت طويل بيننا. جلستُ أمـام آلـة الكتابة وضربت على لوحة مفاتيح الحروف.

قالت لي:

«يمكننا الذهاب إلى السينما لقضاء الوقت».

كان يكفي عبور جادة جراند-أرمي كي نقع على ستوديو أوبليجادو. في ذلك المساء، لم يُعِر أحدنا اهتمامًا بالفيلم. أعتقد أن المشاهدين كانوا قليلين في القاعة. هل هم أشخاص أعلنت محكمة عن كونهم «غـائبين» منـذ فـترة طويلـة؟ ونحـن، مَـن نكون؟ كنت أدور نحوها، في بعض المرات. لم تكـن تنظـر إلى الشاشة، كانت رأسها مائلة وتبـدو أنهـا ضـائعة في أفكارهـا. كنت أخشى أن تهب من جلـستها وتعـود إلى نـويي. لكـن لا شيء من هذا. ظلت جالسة حتى نهاية الفيلم.

Telegram: Somrlibrary

لدى خروجنا من ستوديو أوبليجادو، بدت لي مرتاحة. قالت لي إنه، من الآن فصاعدًا، فات أوان العودة إلى زوجها. قالت إنه دعا، في هذا اليوم، أصدقاء له لتناول طعام العشاء. هكذا انتهى الأمر. لن يكون أبدًا ثمة عشاء في نُويي.

لم نعد على الفور إلى الغرفة. تجولنا طويلاً في هذه المنطقة المحايدة حيث كنا لاجئين معًا، في فترات مختلفة. أرادت أن تريني الفندقين اللذين أقامت فيهما، في شارع أرمايي وشارع إتوال. أحاول أن أتذكر ما قالته لي في تلك الليلة. كان الأمر غامضًا. لم تتبقَّ سوى مقتطفات. وقد أصبح من الصعب الآن استعادة التفاصيل إلتي تنقص أو التي نسيتها. غادرتْ أمها، وهي صغيرة السن، كما غادرت الحي الذي أقامت فيه معها. أمها رحلت عن هذا العالم. لم يتبقَّ لها سوى صديقة من هذه الحقبة، تراها من حين لآخر، وتُدعى جانيت جول. تعشينا، مرتين أو ثلاثًا، مع جانيت جول في شارع أرجنتين، في مطعم خرب بالقرب من فندقي. شقراء وعينان خضراوان. قالت لي لوكي بأنهم ينادونها برأس الميت بسبب وجهها النحيل الذي يتناقض مع جسد رشيق. في فترة لاحقة، زارتها جانيت جول في فندق شارع سيلس، وكان عليَّ أن أطرح على نفسي أسئلة في اليوم الذي فاجأتُهما في الغرفة حيث تفوح رائحة الأثير. ثم إنه ذات يوم، ما بعد الظهيرة، وكان فيه نسيم وشمس على

Telegram: Somrlibrary

ضفاف نهر السين، مقابل نوتردام... كنت أتصفح الكتب في علب بائعي الكتب المستعملة وأنا أنتظرهما معًا. قالت جانيت إن عندها موعدٌ في شارع جراند-دوجري مع شخص سيحضر لها «قليلاً من الثلج»... كانت تضحكها كلمة «ثلج» ونحن كنا في شهر يوليو... في إحدى العلب الخضراء عند بائع الكتب المستعملة عثرت على كتاب جيب يحمل عنوان الصيف الجميل. نعم، كان جميلاً لأنه بدا لي أبديًّا. فجأة، رأيتهما على الرصيف الآخر. كانتا قادمتين من شارع جراند-دوجري. أشارت لي لوكي بذراعها. كانتا تتمشيان في اتجاهي في الشمس وفي الصمت. هكذا تبدوان معًا كثيرًا في أحلامي، بالقرب من سانت-جوليان-لي-بوفر... أعتقد أني كنت سعيدًا، فيما بعد ظهيرة ذلك اليوم.

لم أفهم سبب إطلاق لقب رأس الميت على جانيت جول. هل بسبب وجنتيها العاليتين وعينيها الضيقتين؟ إلا أنه لا شيء في وجهها يستحضر الموت. كانت لا تزال توجد في لحظة يعتبر فيها الشبابُ أقوى من كل شيء آخر. لا شيء يترك عليها أدنى أثر، لا ليالي الأرق ولا الثلج، كما كانت تقول. لكن إلى متى؟ كان يتوجب عليّ أن أحْذر منها. لم تكن لوكي تصطحبها معها إلى كوندي وإلى اجتماعات جي دي فير لو كانت هذه الفتاة تمثل الجزء المظلم منها. لم أسمعهما يتحدَّثان،

Telegram: Somrlibrary

في حضوري، عن ماضيهما المشترك، إلا مرة واحدة، وكان بطريقة موارية. خيّل إليّ أنهما كانتا تخفيان أسرارًا. ذات يوم خرجت فيه من محطة مترو مابيون، بصحبة لوكي، في يوم من شهر نوفمبر، نحو الساعة السادسة مساءً، وكان الليل قد أرخى سدوله، تعرّفتْ على شخص جالس إلى طاولة من خلف الواجهة الزجاجية لمقهى لابيرجولا صدرت عنها حركة ارتداد خفيفة إلى الوراء. كان الرجل في الخمسين من عمره، بوجه صارم وشعر أسمر مطليّ. كان في مقابلنا تقريبًا، وكان باستطاعته، هو أيضًا أن يرانا. لكني أعتقد أنه كان منهمكًا في الحديث إلى شخص بجانبه. تناولتْ ذراعي وجرتني إلى الجهة الأخرى من شارع فور. قالت لي إنها تعرفت على هذا الشخص قبل سنتين مع جانيت جول وإنه كان يدير مطعمًا في المقاطعة التاسعة من باريس. لم تكن تتوقع على الإطلاق أن تجده هنا، على الضفة اليسرى من العاصمة. كانت تبدو قلقة. استخدمت كلمتي «الضفة اليسرى» كما لو نهر السين كان الخط الفاصل الذي يفصل بين مدينتين غريبتين، الواحدة عن الأخرى، نوع من سياج جديدي. والرجل الجالس في لابيرجولا نجح في تخطي هذه الحدود. حضوره، هنا، في مفترق طرق أوديون، يزعجها حقيقة. سألتُها عن اسمه. موشيليني. ولماذا تريد تجنبه. لم تجبني بطريقة

Telegram: Somrlibrary

واضحة. قالت لي فقط إن هذا الشخص يستحضر لها ذكريات سيئة. حين كانت تقطع الصلات مع الآخرين فالمسألة نهائية، والآخرون في عداد الموتى في نظرها. إذا كان هذا الرجل لا يزال حيًّا، وثمة مخاطر أن يلتقي بها، فمن الأجدى تغيير الحيّ.

طمأنتُها. لابيرجولا ليس مقهى مثل كل المقاهي، كما أن روّاده الملتبِسين، بعض الشيء، لا يتلاءمون على الإطلاق مع الحيّ المُجدّ والبوهيمي الذي نتمشى فيه. قالت لي إن هذا الشخص التقته في المقاطعة التاسعة. حسنًا، إن لابيرجولا، تحديدًا، هي نوع من ملحقة في سان-جيرمان-دي-بري لحيّ بيجال من دون أن نعرف جيدًا السبب. يكفي اختيار الرصيف الآخر وتجنب لابيرجولا. ليست ثمة من حاجة لتغيير الحي.

كان عليّ أن ألحّ عليها كي تبوح لي أكثر، لكنني كنتُ أعرف على وجه التقريب ما الذي ستجيبني به، هذا إن كانت لديها بالفعل رغبة في الإجابة... خالطت في طفولتي ومراهقتي كثيرًا من أشباه موشيليني، من هؤلاء الأفراد الذين لا نعرف أي نوع من التجارة يقومون بها... ألَمْ أَرَ أبي، كثيرًا، وهو في صحبة هؤلاء؟ بعد كل هذه السنوات أصبح باستطاعتي القيام بتحريات بخصوص المدعو موشيليني. لكن ما الفائدة؟ لن أعرف شيئًا عن لوكي أكثر مما أعرفه عنها الآن أو أكثر مما خمّنتُهُ. هل نحن مسؤولون، حقيقة، عن

Telegram: Somrlibrary

الممثلين الثانويين الذين لم نخترهم والذين نلتقيهم في بدايات حياتنا؟ هل أنا مسؤول عن أبي وعن كلّ الأشباح الذين كانوا يتحدثون معه بصوت منخفض في ردهات الفنادق أو القاعات الخلفية في المقاهي والذين ينقلون حقائب لا أزال لحد الساعة أجهل محتواها؟ في هذا المساء، وبعد هذا اللقاء السيئ، تمشينا في بولفار سان-جيرمان. حين دخلنا مكتبة فيجا، بدا عليها الارتياح. كانت تمسك بقائمة كتب طلب منها جي دي فير شراءها. لا أزال أحتفظ بهذه القائمة. وكان يقدمها لكل من يحضر اجتماعاته. وكان متعودًا على القول: «لستم مرغمين على قراءة كل شيء في الآن نفسه. اختاروا، بالأحرى، كتابًا واحدًا واقرأوا منه صفحة كل مساء، قبل أن تخلدوا للنوم».

Telegram: Somrlibrary

الأنا الأخرى السماوية

صديق الرب في أوبير لاند

نشيد اللؤلؤة

عمود الفجر

منقذو كنز الضوء الاثنا عشر

أعضاء أو مراكز غامضة

مَوردة اللغز

الوادي السابع

Telegram: Somrlibrary

كانت عبارة عن كراريس صغيرة ذات غلاف أخضر شاحب. في البداية كان يحدث لنا، لوكي وأنا، في غرفتي في شارع أرجنتين، أن نقرأها بصوت عالٍ. كان نوعًا من نظام، حين لا تكون معنوياتنا على ما يرام. أعتقد أننا لم نكن نقرأ هذه الأعمال بالطريقة نفسها. كانت تتمنى أن تكتشف فيها معنىً للحياة، بينما كانت تأسرني فيها رنة الكلمات وموسيقى الجُمل. في هذا المساء، في مكتبة فيجا، بدا لي وكأنها نسيت المدعو موشيليني وكل الذكريات التي يذكرها بها. أكتشف اليوم أنها لم تكن تبحث فقط عن مجرد خطة عمل وهي تقرأ الكراريس ذات الأغلفة الخضراء الشاحبة وبيوجرافيا لويز العدم. كانت تريد الهروب والفرار بعيدًا جدًّا، وقطع العلاقة بصفة عنيفة مع الحياة العادية، كي تتنفس الهواء الطلق. ثم إنه كان يوجد

Telegram: Somrlibrary

أيضًا ذُعرٌ، من وقت لآخر، من منظور أن الممثلين الثانويين الذين يتركهم المرءُ خلفه يمكن أن يعثروا عليه ويطالبونه بتسديد الحساب. يتوجب الاختباء للتخلص من هؤلاء المبتزّين على أمل أن يكون المرء، في يوم من الأيام، بعيدًا عن متناولهم، بشكل نهائي. هناك، في هواء أعالي القمم. أو هواء أعالي البحار. أفهم جيدًا هذا الشيء. أنا أيضًا لا أزال أجرّ الذكريات السيئة وصُوَر كابوس طفولتي التي أريدُ أن أوجه لها صفعة قوية، مرة واحدة للأبد.

قلت لها إنه من البلاهة تغيير الرصيف. وانتهى بي الأمر بإقناعها. لن نتجنب، من الآن فصاعدًا، عند الخروج من مترو مابيون، المرور بالقرب من مقهى لابيرجولا. بل إنني استطعتُ، ذات مساء، أن أجرّها إلى داخل المقهى. ظللنا واقفيْن أمام الكونطوار وانتظرنا موشيليني بثبات. انتظرنا كل أشباح الماضي. معي، لم تكن تخشى شيئًا. ليس ثمة من وسيلة أفضل من النظر بشكل مستقيم في عيون الأشباح كي تتبدد. أعتقد أنها كانت تستعيد الثقة في النفس وأنها لن تُصاب بالتردد لو أن موشيليني ظهر أمامها. نصحتها بأن تردد له بصوت حازم الجملة المألفة لديّ في مثل هذه المواقف: «لا، يا سيدي... لست أنا... أنا آسفة... أنت مخطئ...».

عبثًا انتظرنا موشيليني، في هذا المساء. ولم نره، بعد ذلك، أبدًا خلف زجاج النافذة.

Telegram: Somrlibrary

في شهر فبراير، الذي توقفت فيه عن العودة إلى بيت زوجها، تساقطت ثلوج كثيرة، وخيّل إلينا، ونحن في شارع أرجنتين، أننا ضائعان في فندق في جبل شاهق. لاحظتُ أنه من الصعب العيش في منطقة محايدة. ومن الأفضل، حقيقة، الاقتراب من الوسط. الشيء الأكثر إثارة للدهشة في شارع أرجنتين، عِلمًا أنني أحصيتُ العديد من الشوارع الباريسية التي تشبهه، هو أنه لا يتلاءم مع المقاطعة التي يُعتبر جزءًا منها. لم يكن يشبه شيئًا، كان منفصلاً عن الكل. بهذه الطبقة من الثلوج ينفذ الشارع من جانبيه على الفراغ. عليّ أن أعثر من جديد على قائمة الشوارع التي هي ليست فقط شوارع محايدة ولكنها ثقوبٌ سوداء في باريس. أو بالأحرى شظايا لهذه المادة

Telegram: Somrlibrary

المظلمة التي تتعلق بعلم الفلك، وهي مادةٌ تجعل كل شيء لا مرئيًّا وتُقاوم حتى ما فوق البنفسجي وما تحت الأحمر وأشعة إكس. نعم، على مر الأيام، نحن نُخاطِر بأن تستهوينا المادة السوداء.

لم تكن تريد البقاء في حيّ قريب جدًّا من سكن زوجها. يبعد عنه بالكاد، بمحطتي مترو. كانت تبحث في الضفة اليسرى عن فندق في محيط كوندي أو شقة جي دي فير. هكذا تستطيع قضاء حوائجها مشيًا على القدمين. لكني كنت أخاف من العودة من الجانب الآخر من نهر السين في اتجاه المقاطعة الباريسية السادسة المرتبط بطفولتي. كثير من الذكريات الأليمة... ولكن ما الفائدة من الحديث عن هذا ما دام أن هذه المقاطعة ليس لها وجودٌ اليوم سوى بالنسبة لمن يمتلكون فيها محلات الكماليات والأثرياء الأجانب الذين يشترون فيها شققًا... في تلك الفترة، كنت لا أزال أجد فيها آثار طفولتي: الفنادق الخَرِبة في شارع دوفين وسقيفة التعليم المسيحي ومقهى ملتقى طرق أوديون، حيث يتاجر بعض الهاربين من العسكرية من القواعد الأمريكية والدّرج المظلم في فيرا-جالانت؟ **Vert-Galant**، وهذه الكتابات على الحائط القذر في شارع مازارين، التي كنت أقرؤها كلما توجّهت إلى المدرسة: لا تشتغلوا أبدًا.

Telegram: Somrlibrary

حين استأجرتْ غرفة شيئًا ما في الجنوب، نحو مونتبارناس، بقيتُ في محيط إتْوال. أردتُ تجنب مصادفة الأشباح، في الضفة اليسرى من باريس. وما عدا كوندي ومكتبة فيجا كنت أفضل ألا أتأخر في حيّي القديم.

ثم إنه توجّب توفير المال. باعت معطفها المصنوع من الفرو الذي كان من دون شك هدية من زوجها. لم يتبقّ لها سوى قميصٍ مطريٍّ لمواجهة فصل الشتاء. كانت تقرأ الإعلانات الصغيرة كما كانت تفعل قبيل زواجها. ومن حين لآخر، كانت تذهب إلى منطقة أُوتُوي لرؤية صاحب مرأب، وكان صديقًا قديمًا لوالدتها، والذي كان يساعدها. بالكاد أجرؤ على البوح بنوعية الأشغال التي كنت أقوم بها. لكن، لماذا إخفاء الحقيقة؟

شخص يُدْعَى بيرود- بيدوان يسكن في مجموعة بيوت فندقية. وبالتحديد في 8 من شارع سايجون. في بيت مؤثث. أصادفه كثيرًا ولم أعد أتذكر المرة الأولى التي تحدثنا فيها معًا. هو شخص من النوع المداهن وبشعر متماوج، وهو دائمًا يلبس بطريقة فيها بعض التكلف ويتظاهر بطلاقة اجتماعية. كنت جالسًا مقابله إلى طاولة في مقهى- مطعم في شارع أرجنتين، فيما بعد ظهيرة يوم من هذا الشتاء الذي تساقط فيه الثلج على باريس. قلت لهُ بأنني أرغب في «الكتابة» حين ألقى عليّ

Telegram: Somrlibrary

السؤال المعتاد: «وأنت، ماذا تفعل في حياتك؟». أما بيرود- بيدوان، فلم أفهم جيدًا ماذا كانت عليه حالته الاجتماعية. رافقتُهُ، ما بعد ظهيرة هذا اليوم، إلى «مكتبه»، الذي قال عنه إنه «قريب جدًّا من هنا». كانت خطانا تترك آثارها على الثلج. وكان يكفي المشي بشكل مستقيم حتى نصل إلى شارع شالجرين. تصفحتُ دليل هاتف عتيق لهذه السنة كي أعرف أين «يشتغل» بيرود- بيدوان، بالتحديد. أحيانًا نتذكر بعض المراحل من حياتنا ونحتاج إلى أدلّة كي نكون متأكدين من أننا لم نكن نحلم. 14 شارع شالجرين. «المنشورات التجارية الفرنسية». لابد أن يكون هنا. لا أشعر، اليوم، بالشجاعة في التوجه إلى عين المكان والتعرف على البناية. أصبحتُ هرمًا. في ذلك اليوم، لم يُصعدني معه إلى مكتبه، لكننا التقينا في اليوم التالي في الساعة نفسها وفي المقهى نفسه. اقترح عليّ شغلاً. كان الأمر يتعلق بكتابة العديد من الكراريس المتعلقة بشركات أو منظمات يشتغل فيها، بطريقة أو بأخرى، كوسيط تجاري متجول أو عميل إشهاري، تقوم دار النشر التي يديرها بطبعها. وسيمنحني خمسة آلاف فرنك في تلك الفترة. هو الذي يُوقّع النصوص، بينما أشتغل معه مساعدًا له. وسيمنح لي كل الوثائق. بهذه الطريقة اشتغلت على تنفيذ ما يوازي عشر أعمال صغيرة، من قبيل المياه المعدنية في بوربول، السياحة

Telegram: Somrlibrary

في كوت إيمرود، تاريخ الفنادق والكازينوهات في بانيوليس دي-أورن، كما اشتغلت على أبحاث مكرّسة لأبناك جوردان وسيليجمان وميازبود وديماشي. وكنت كلما جلست إلى طاولته أخاف من أن أنام من الضجر. لكن الأمر كان سهلاً، يكفي تنفيذ إشارات بيرود-بيدوان. تفاجأت في المرة الأولى التي اصطحبني فيها إلى مقر المنشورات التجارية الفرنسية: غرفة في الطابق الأرضي من دون نوافذ، لكن في مثل العمر الذي كنت فيه، لا يطرح المرء كثيرًا من الأسئلة. تكون عندنا ثقة في الحياة. بعد مرور شهرين أو ثلاثة، لم يَرِدْني أي خبر عن الناشر. لم يُسلم لي سوى نصف المبلغ الموعود الذي كان كافيًا لي بشكل كبير. ذات يوم- لِمَ لا غدًا إذا كنت أمتلك القوة- يتوجب عليّ أن أذهب للتنزه في شارعي سايجون وشالجرين، المنطقة المحايدة التي اختفى فيها بيرود-بيدوان وكذا المنشورات التجارية الفرنسية مع ثلوج هذا الشتاء. لكن بعد تمحيص لم تكن لديّ الشجاعة، حقيقة. بل إني أتساءلُ إن كانت هذه الشوارع لا تزال موجودة ولم تبتلعها، إلى الأبد، المادة السوداء.

Telegram: Somrlibrary

أفضل صعود جادة الشانزيليزيه مشيًا على القدمين ذات مساء ربيعي. لا وجود لها اليوم، حقيقة، ولكنها في الليل لا تزال تخلق هذا الوهم. ربما سوف أسمع في جادة الشانزليزيه صوتك يناديني باسمي الشخصي... في اليوم الذي بعتِ فيه معطف الفرو والزمرُّد الذي كان بمثابة مسمار للزخرفة، كان لا يزال بحوزتي مبلغ ألفي فرنك من مال بيرود-بيدوان. كنا ثريَيْن، وكان المستقبل لنا. في ذلك المساء، كنتِ من اللطافة بحيث إنك التحقت بي في حيّ إتوال. كان الوقت صيفًا، الوقت نفسه الذي التقينا فيه على ضفاف السين مع رأس الميت وكنت أرَاكُما، معًا، تتقدمان في اتجاهي. توجهنا إلى مطعم في ركن شارع فرانسوا الأول وشارع ماربوف. وضع صاحب

Telegram: Somrlibrary

المطعم طاولات على الرصيف، وكان الوقت لا يزال نهارًا. لم تكن ثمة حركة مرور للسيارات وكان بالإمكان سماع همسات الأصوات ووقع الخطى. في نحو الساعة العاشرة ليلاً، حين نزلنا جادة الشانزيليزيه، تساءلتُ إن كان الليل قد توقف عن الانسدال وإن لمْ يتحوَّل إلى ليلة بيضاء كما هو الشأن في روسيا وفي دول الشمال. تمشينا على غير هدى، كان كل الليل أمامنا. كانت لا تزال آثار الشمس تحت قناطر شارع ريفولي. إنها بداية الصيف، وسوف نسافر قريبًا. إلى أين؟ لا نعرف حتى الساعة. ربما إلى مايوركا أو إلى المكسيك. ربما إلى لندن أو إلى روما. الأمكنة لم تعُد لها أية أهمية، ويتشابه بعضها البعض. هدفنا الوحيد من السفر هو التوجه إلى قلب الصيف، حيث يتوقف الزمن وحيث عقربا الساعة يشيران دائمًا إلى الساعة نفسها: الظهيرة.

في بالي-روايال، أسدل الليل ذيوله. توقفنا، للحظة، على رصيف روك-يونيفيرس قبل أن نعاود المسير. تبعنا كلبٌ طول شارع ريفولي حتى سانت-بول. ثم دخل إلى الكنيسة. لم نشعر بأي تعب، وقالت لي لوكي بأنها تستطيع المشي طول الليل. عبرنا منطقة محايدة قبل أن نصل إلى أرْسُنال، بضع شوارع مقفرة يمكن للمرء أن يتساءل إنْ كانت مسكونة. لاحظنا في الطابق الأول لإحدى العمارات نافذتين كبيرتين مضاءتين. جلسنا على مقعد، في المقابل، ولم نستطع منع نفسينا

Telegram: Somrlibrary

من النظر إلى هاتين النافذتين. كان ثمة مصباح أحمر عاكس للنور، في العمق، هو الذي ينشر هذا الضوء الأعمى. استطعنا تمييز مرآة في الإطار المذهَّب على الحائط الأيسر. الحيطان الأخرى كانت عارية. رصدتُ شبحًا يمر من وراء النافذتين، ولكن لا أحد، فيما يبدو، كان في هذه الغرفة التي لا نعرف إن كانت صالونًا أم غرفة للنوم.

قالت لي لوكي:

«علينا أن ندق على باب الشقة. أنا متأكدة من أن أحدًا ينتظرنا».

كان المقعد يوجد في وسط ما يشبه نوع من مصطبة ترابية شكّلها تقاطُع شارعَين. بعد سنوات عديدة من هذه اللحظة، كنت في سيارة تاكسي تحاذي أرسنال، في اتجاه ضفة نهر السين، طلبت من السائق أن يتوقف. كنت أريد أن أعثر على المقعد وعلى العمارة. كنت أتمنى أن أجد النافذتين الموجودتين في الطابق الأول مضاءتين، بعد كل هذا الزمن. لكني أوشكت أن أضيع في بعض الشوارع الصغيرة التي تنفذ على أسوار ثكنة سيليستينس. في هذه الليلة قلتُ لها إنه ليس من المفيد أن ندق على الباب. لن نجد أحدًا. ثم إننا على ما يرام، هنا، على هذا المقعد. بل إنه تناهى إلى سمعي انسياب ماء نافورة في مكان ما.

Telegram: Somrlibrary

سألتْ لوكي: «هل أنت متأكد؟ أنا لا أسمع شيئًا...».

كنّا، نحن مَن نسكن في الشقة المقابلة. لقد نسينا أن نطفئ الضوء. وأضعنا المفتاح. والكلب الذي تحدثت عنه منذ قليل يتوجب عليه أن ينتظرنا. لقد نام في غرفتنا وسيظلّ فيها ينتظرنا إلى نهاية الزمن.

تمشينا، فيما بعد، في اتجاه الشمال، وكي لا ننحرف كثيرًا، اتفقنا على هدف واحد، وهو ساحة الجمهورية، لكننا لم نكن متأكدين من اتباعنا الوجهة الصحيحة. الأمر ليس مهمًّا، نستطيع دائمًا أن نركب المترو ونعود إلى أرجنتين، إذا ما ضعنا في الطريق. قالت لي لوكي إنها كثيرًا ما جالت في هذا الحيّ، أيام طفولتها. جي لافيني، وهو صديق أمها، كان يملك مرآبًا في هذه المنطقة. نعم، بالقرب من ساحة الجمهورية. كنا نتوقف عند كل مرأب، لكنه لم يكن أبدًا المرأب الصحيح. ولم تعثر على الطريق. المرة القادمة التي ستذهب فيها إلى أوتوي لزيارة جي لافيني يتوجب عليها أن تسأله عن العنوان الصحيح لمرأبه القديم قبل أن يرحل هذا الشخص، هو الآخر. يبدو الأمر بسيطًا لكنه مهمّ، وإلا فإننا سنفقد أيّ نُقطة مَعْلَم في الحياة. تذكرتْ أن والدتها وجي لافيني كانا يصطحبانها، بعد عيد الفصح، يوم السبت، إلى معرض تُرُون. وكانوا يذهبون إلى هذا المعرض، مشيًا على الأقدام، عبر بولفار

Telegram: Somrlibrary

لا ينتهي يشبه البولفار الذي نتتبعه الآن. كان ربما، هو نفسه الآن. لكننا الآن نبتعد عن ساحة الجمهورية. في أيام السبت، آنذاك، كانت تتمشى مع والدتها ومع جي لافيني إلى أن تصل إلى حدّ غابة فانسين.

كان الوقت يقترب من منتصف الليل، وسيكون غريبًا أن نجد نفسينا أمام شباك حديقة الحيوان. نستطيع أن نشاهد الفيلة في الظل. لكن هناك، أمامنا، تنفتح فسحةٌ مضيئة وسطها ينتصب تمثال. ساحة الجمهورية. وبقدر ما كنا نقترب كانت موسيقى تصدح بشكل يزداد ارتفاعًا. حفلة راقصة؟ سألت لوكي إن كان اليوم يصادف 14 يوليو. كانت، هي الأخرى، تجهل التاريخ. منذ بعض الوقت، أصبحت الأيام والليالي تتشابه علينا. الموسيقى كانت آتية من مقهى، تقريبًا في زاوية البولفار وشارع جراند-بريوري. بعض الزبناء كانوا جالسين على الرصيف.

أضعنا المترو الأخير. مباشرة بعد اجتياز المقهى، يوجد فندق كان بابه مفتوحًا. مصباح عارٍ يضيء درجًا صلبًا جدًا درجاتُهُ من الخشب الأسود. الحارس الليلي لم يكلف نفسه عناء طلب اسمينا. دلّنا فقط على رقم الغرفة في الطابق الأول. قلت للوكي: «ابتداءً من الآن، يمكننا الإقامة هنا».

Telegram: Somrlibrary

سريرٌ لشخص واحد ولكنه لم يكن ضيقًا بالنسبة لنا. لا ستائر ولا مصراعين للنافذة. تركناها مفتوحة قليلاً، بسبب الحرارة. في الأسفل، صمتت الموسيقى، وسمعنا قهقهات ضحك. قالت في أذني:

«أنت على حق. يجب علينا أن نظل، هنا، دائمًا».

تصورت أننا بعيدان عن باريس، في ميناء صغير على البحر المتوسط. كل صباح، وفي الساعة نفسها، نتتبع طريق الشواطئ. احتفظتُ بالعنوان: 2 شارع جراند-بريوري. فندق هيفيرنيا. في غضون كل السنوات الكئيبة التي تتابعت، كنت أُسْأل عن عنواني أو عن رقم هاتفي كنت أجيب: «ما عليكم سوى أن تكاتبوني على عنوان فندق هيفيرنيا، 2 شارع جراند-بريوري. وسيقومون بتحويل الرسائل إليّ». يتوجَّب عليّ أن أذهب لتسلم كل هذه الرسائل التي تنتظرني منذ زمن طويل والتي ظلت من دون جواب. كنتِ على حق، كان علينا أن نبقى هناك، بشكل دائم.

Telegram: Somrlibrary

رأيتُ جي دي فير للمرة الأخيرة، بعد سنوات طويلة. في شارع منحدر ينزل نحو أوديون، توقفت سيارة في مستواي وسمعتُ شخصًا ينادي باسمي القديم. تعرفتُ على الصوت، قبل أن ألتفت. أمال رأسه من فوق زجاج بوابة السيارة. ابتسم في وجهي. لم يتغير. عدا شعر رأسه الذي كان أقل طولاً.

كان هذا في شهر يوليو، في الساعة الخامسة مساء. وكان الجو حارًا. جلسنا معًا على صندوق السيارة كي نتحدث. لم أجرؤ أن أقول له بأننا كنا على بعد بضعة أمتار من كوندي ومن الباب التي تدخل منها لوكي دائمًا، باب الظل. ولكن الباب لم يعد له وجود. من هذا الجانب كانت توجد واجهة

Telegram: Somrlibrary

زجاجية حيث توجد الآن أكياس التمساح وأحذية عالية بل ويوجد حتى مقعد خشبي بثلاث قوائم وأسواط. في برانس دي كوندي. متجر المصنوعات الجلدية.

«إذًا، ماذا أصبحت، يا رولاند؟».

كان الصوتُ، دائمًا، الصوت الواضح نفسه، الصوت الذي يجعل النصوص المغلقة جدًّا مفتوحة أمام الجميع حين يقرأها أمامنا. كنت متأثرًا لكونه لا يزال يتذكرني ويتذكر اسمي خلال تلك المرحلة. كثيرٌ من الناس حضروا الاجتماعات، في سكوار لوفيندال... البعض لم يأتِ سوى مرة واحدة، عن فضول، وآخرون كانوا مثابرين. وكانت لوكي من هؤلاء الأخيرين. وأنا أيضًا. إلا أن جي دي فير لم يكن يبحث عن أي مريد. لم يكن يعتبر نفسه على الإطلاق معلّمًا رائدًا وكان يمنع نفسه من ممارسة أي تأثير على الآخرين. كان الآخرون هم الذين يأتون للقائه من دون أن يلح في تقريبهم. أحيانًا كنا نخمن بأنه ربما فضّل البقاء وحيدًا في بيته وهو يحلم، لكنه لم يكن يستطيع أن يرفض لهم شيئًا، وبشكل خاص سَنَدَه كي يروا ذواتهم، بشكل أكثر وضوحًا.

«وأنت، هل عدت إلى باريس؟».

ابتسم دي فير وتأملني بنظرة ساخرة.

Telegram: Somrlibrary

«لم تتغير أبدًا، يا رولاند... أنت تجيب على سؤال بطرح سؤال آخر...».

حتى هذه الخاصية، هي الأخرى، لم يَنْسها. كان يمازحني كثيرًا بهذا الصدد. وكان يقول لي بأنني لو كنتُ ملاكًا، لكنتُ سيدًا في المُخاتلة.

«... لم أعد قط أقيم في باريس، منذ فترة طويلة، يا رولاند... أعيش الآن في المكسيك... يجب عليّ أن أعطيك عنواني...».

في ذلك اليوم الذي ذهبتُ فيه للتأكد من وجود لبلاب في الطابق الأرضي من عمارته، كنت قد سألت الحارسة عنوان جي دي فير الجديد، في حالة ما إذا كانت تعرفه. قالت لي ببساطة: «غادر من دون أن يترك عنوانًا». حدثتُه عن هذه الزيارة إلى سكوار لوفيندال.

«أنت رجل غير قابل للإصلاح، يا رولاند، بقصتك عن اللبلاب... لقد تعرفتُ عليك وأنت شاب يافع، أليس كذلك؟ كم كان عمرك، آنذاك؟

20 سنة.

حسنًا، يبدو لي أنك في هذه السنّ انطلقت في البحث عن اللبلاب الضائع. هل أنا مخطئٌ؟»

Telegram: Somrlibrary

لم يغادرني نظره وكان يحجُبه ظلٌّ من حزن. كنا، ربما، فكرنا في الشيء ذاته، ولكني لم أجْرُؤ على التلفظ باسم لوكي.

قلت له:

«الأمر غريبٌ. في زمن اجتماعاتنا، كنت كثيرًا ما أرتاد هذا المقهى الذي لم يعُد مقهى».

أشرت، على بعد أمتار منا، إلى متجر المصنوعات الجلدية: أوبرانس دي كوندي.

قال لي:

«نعم. باريس تغيّرت كثيرًا في السنوات الأخيرة».

تأملني وهو يقطّب حاجبيه، كما لو أنه يريد أن يتذكَّر تذكارًا قصيًّا.

«هل لا زلت تشتغل حول المناطق المحايدة؟»

تساقط السؤال بطريقة فجة لدرجة أنني لم أفهم على الفور تلميحه.

«كان نصك عن المناطق المحايدة مهمًّا جدًّا...».

Telegram: Somrlibrary

يا إلهي، أية ذاكرة... نسيتُ إن كنت أطلعته على هذا النص. ذات مساء، عند نهاية إحدى اجتماعاتنا في بيته، ظللنا، لوكي وأنا. أردت أن أعرف إن كان عنده كتابٌ بخصوص العودة الأبدية. كنا في مكتبه وألقى نظره على بعض رفوف مكتبته. وعثر أخيرًا على كتاب بغلاف أبيض وأسود: «نيتشه: فلسفة العودة الأبدية للشيء ذاته»، وقدمه لي وقرأته في الأيام التي تلت بكثير من الاهتمام. في جيب سترتي كانت تقبع بضع صفحات مرقونة على الآلة الكاتبة بخصوص المناطق المحايدة. كنت أريد أن أعطيه إياها من أجل معرفة رأيه، ولكني ترددتُ. ولكني قبل أن أغادر، وكنت على سطح الدرج، قررت، وبحركة مفاجئة، أن أمدّ له المظروف الذي جمعت فيه هذه الصفحات، من دون أن أتلفظ بكلمة.

قال:

«كنت مهتمًا جدًّا بعلم الفلك. وبشكل خاص، المادة السوداء...».

ما كنت لأتخيّل أبدًا أنه سيتذكر هذا. ولكنه، في حقيقة الأمر، كان شديد الاهتمام بالآخرين، ولكننا لا ننتبه للأمر في تلك اللحظة.

قلت له:

Telegram: Somrlibrary

«من المؤسف أنه لا يوجد اجتماع، في هذا المساء في سكوار لوفيندال، مثل السابق...».

بدا متفاجئًا من كلماتي. ابتسم لي.

«إنه هَوَسُك الدائم بالعودة الأبدية...».

نتمشى الآن طولاً وعرضًا على الرصيف، وفي كل مرة، تأخذنا خطانا إلى متجر المصنوعات الجلدية. أو برانس دي كوندي.

سألته:

«هل تتذكر ذلك المساء الذي وقع فيه انقطاع للتيار الكهربائي في بيتك والذي كلمتنا فيه في الظلام؟

لا.

سأعترف لك بشيء. لقد أوشكت أن أصاب بنوبة ضحك، في ذلك المساء.

أجابني، برنة فيها شيءٌ من العتاب:

كان عليك أن تفعل. إن الضحك مُعْدٍ. وكنا سنضحك جميعًا، في الظلام».

نظر إلى ساعته.

«سأكون مضطرًا إلى مغادرتك. عليّ إعداد حقائبي. أسافر غدًا. وليس لديّ الوقت لأسألك عن مشاغلك الآن».

Telegram: Somrlibrary

أخرج مفكّرة من جيب سترته الداخلي ومزّق ورقة.

«أعطيك عنواني في المكسيك. عليك أن تأتي، حقيقة، لزيارتي».

وبشكل مفاجئ اتخذ كلامه لهجة آمرة، كما لو أنه يريد جرّي معه وإنقاذي من نفسي. ومن الحاضر.

«ثم إنني أواصل الاجتماعات هناك. تعال، أعتمد عليك».

ومدّ إليّ الورقة.

«أنت الآن تتوفر على رقم هاتفي. علينا ألا نفقد التواصل، هذه المرة».

حين دخل السيارة، أمال رأسه، من جديد، من فوق زجاج بوابة السيارة الذي كان مفتوحًا بعض الشيء.

«قل لي... أفكر كثيرًا في لوكي... لا أزال أجهل السبب...».

كان متأثرًا. وهو الذي كان يتحدث دائمًا من دون تردد، وبطريقة واضحة جدًّا، أصبح يبحث عن كلماته.

«إنها بلاهة ما أقول لك... لا شيء يمكن فهمه... حين نحبّ شخصًا ما، بشكل حقيقي، يجب أن نقبل جزءه

Telegram: Somrlibrary

الغـامض... ولهـذا الـسبب نحبـه... أليـس كـذلك، يـا رولاند؟...».

أطلق سيارته بشكل فجائي، من دون شـك كـي يوقـف تأثره. ويوقف تأثري. وكان لديه بعض الوقت كي يقول لي:

«إلى لقاء سريع، يا رولاند».

بقيتُ وحيدًا أمام متجر المصنوعات الجلدية أوبرانس دي كوندي. ألصقتُ جبهتي بالواجهة الزجاجية لأرى إن كانـت لا تزال توجد بعض آثار المقهـى: جـزء مـن الحـائط والبـاب الموجودة في الركن القصي والتـي تنفـذ عـلى الهـاتف الحـائطي وأيضًا الدرج الحلزوني الذي يؤدي إلى الـشقة الـصغيرة لمـدام شاذلي. لا شيء. كل شيء كان نـاعمًا ومـشدودًا بقـماش بلـون برتقالي. وكان هذا موجودًا في كل هذا الحي. على الأقل لم يكن ثمة من خطر الالتقاء بأشباح. الأشباح نفسها كانت ميتـة. لا شيء يمكن الخوف منـه عنـد الخـروج مـن مـترو مـابيون. لا بيرجولا ولا موشيليني من خلف زجاج النافذة.

تمشيتُ بخطى رشيقة كما لو أني وصلتُ ذات مـساء مـن شـهر يوليـو إلى مدينـة أجنبيـة. طفقـت أصـفّر لحـن أغنيـة مكسيكية. ولكن هذه اللامبالاة المغلوطة لم تدُم طويلاً. كنـت أتمـشى بمحـاذاة سـياج حديقـة لوكـسمبورج ولازِمَـة «أي

Telegram: Somrlibrary

خاليسكو نو تي راخيس»[1] تنطفئ على شفتي. إعلان معلق على جذع إحدى الشجرات الكبيرة التي تحمينا بأوراقها إلى مدخل الحدائق، هناك، في سان-ميشيل. «هذه الشجرة خطيرة. سيتم قطعها قريبًا. وسيتم وضع أخرى مكانها ابتداءً من هذا الشتاء». اعتقدت، خلال بعض لحظات، أنني في كابوس. ظللتُ في مكاني، متسمرًا، في قراءة وإعادة قراءة هذا الحكم بالموت. جاء أحد المارة يقول لي: «هل تحس بألم، سيدي؟» ثم ابتعد، من دون شك خائبًا من بصري الشاخص. في هذا العالَم الذي يُخيَّل إليَّ، أكثر فأكثر، أنني ناجٍ من الموت، تُقطَع فيه حتى الأشجار... واصلتُ مسيري وأنا أحاول التفكير في موضوع آخر، لكن الأمر كان صعبًا. لم أستطع نسيان هذا الإعلان وهذه الشجرة المحكومة بالإعدام. كنت أتساءل كيف كانت رؤوس أعضاء المحكمة ورأس الجلاد. استعدتُ هدوئي. وكي أشدَّ من عزمي تخيلت جي دي فير وهو يتمشى بجانبي ويردد لي بصوته الرقيق: «لا، يا رولاند، إنه كابوس... الأشجار لا تُقطَع...».

كنت قد تجاوزت سياج الدخول إلى الحديقة وكنت أتتبع جزء البولفار التي تؤدي إلى بورت-رويال. ذات مساء، وكنتُ بصحبة لوكي، رافقنا إلى هذه الناحية شابٌّ من عمرنا نفسه كنا تعرفنا عليه في كوندي. أشار، عن يميننا، إلى بناية

(1) Ay Jalisco no te rajes

Telegram: Somrlibrary

مدرسة المعادن وهو يعلن بصوت حزين، كما لو أنه كان يرزأ تحت ثقل هذا البوح، بأنه تلميذ في هذه المدرسة.

«هل تعتقدون أنه يتوجب عليَّ أن أظل في هذه المدرسة؟».

أحسستُ أنه يترصد تشجيعًا من طرفنا لتشجيعه على اتخاذ قرار خطير لا سبيل إلى الرجوع عنه. قلت له: «لا، يا عزيزي، لا تبقَ فيها... اتجه إلى الفضاء الفسيح...».

استدار نحو لوكي. وكان ينتظر رأيها، هي أيضًا. قالت له إنها منذ أن رُفضت في ثانوية جيل-فيري، أصبحت حذرة جدًّا من المدارس. أعتقد أن ما قالته لوكي ساهم في إقناعه. قال لنا، في اليوم التالي، في كوندي، بأن مدرسة المعادن انتهت بالنسبة إليه.

كنا كثيرًا ما نتبع، لوكي وأنا، الطريق نفسه للعودة إلى الفندق. كان منعطفًا ولكننا كنا متعودين على المشي. هل كان منعطفًا، بالفعل؟ لم يكن كذلك، إذا ما تأملناه جيدًا، فهو طريق مستقيم، فيما يبدو لي، نحو داخل الأراضي. في الليل، وعلى طول جادة دونفيرت-روشرو، كنا في مدينة فرنسية غير باريس، بسبب الصمت وبسبب كل المَضْيَفات الدينية التي كانت تتتابع بوّاباتها. قبل أيام تتبعتُ، مشيًا، الطريق المُوشَّاة

Telegram: Somrlibrary

بأشجار الدُّلْب والحيطان العالية التي تَفْصِل مقبرة مونبارناس إلى قسمين. وهو أيضًا طريق فندقها. أتذكر أنها كانت تفضّل تجنبها، ولهذا السبب كنا نمرّ عن طريق دونفير-روشرو. لكن، في الفترة الأخيرة، لم نَعُد نخشى شيئًا وأصبحنا نكتشف أن هذه الطرق التي تقطع المقبرة لا تخلو من بعض فتنة، ليلًا تحت قمة الأشجار. لم تكن تعبر المكان أي سيارة في مثل هذه الساعة ولم نكن نلتقي فيها أبدًا، بأيّ شخص. نسيتُ أن أدرجها في قائمة المناطق المحايدة. كانت بالأحرى حدودًا. حين نصل إلى النهاية ندخل في بلد نحن فيه بمنأى عن كل شيء. في الأسبوع الماضي لم أتمشَّ في الليل وإنما في نهاية ما بعد الظهيرة. لم أكُنْ قد عُدتُ إليه منذ أن كنّا نتتبعه معًا أو حين كنتُ ألتحق بك في الفندق. جاءتني لحظة صورة خادعة بأنني سوف أعثر عليك، من جديد، فيما وراء المقبرة. هناك، ستكون العودة الأبدية. الحركة السابقة نفسها لتسلم مفتاح غرفتك عند الاستقبال. الدرج الصلب نفسه. الباب الأبيض، الرقم 11 الانتظار نفسها. ثم الشفتين نفسها. العطر نفسه والشَّعَر نفسه الذي يتساقط كالشلاّل.

لا أزال أسمع جي فير وهو يقول لي بخصوص لوكي:

«لم أفهم لحد الساعة لماذا... حين نحبّ شخصًا ما، بشكل حقيقي، يجب أن نقبل جزءه الغامض...».

Telegram: Somrlibrary

أي غموض؟ كنت مقتنعًا أننا متشابهان؛ لأنه كانت بيننا في كثير من الأحيان عمليات نقل أفكار. كنا على طول الموجة نفسها. ولدنا في السنة نفسها وفي الشهر نفسه. لكن يجب تخمين وجود اختلاف فيما بيننا.

لا. أنا أيضًا لا أستطيع أن أفهم... خصوصًا حين أتذكر الأسابيع الأخيرة. في شهر نوفمبر، حيث تتقلص النهارات، أمطار الشتاء، لا شيء من كل هذا يبدو أنه يؤثر على معنوياتنا. كنا نشتغل على مشاريع السفر نفسها. ثم إنه كانت تسود أجواء مَرِحَة في الكوندي. نسيتُ مَن هو الذي أدخل بين أحضان الرواد الأليفين هذا الشخص الذي يُدعى بوب ستورمس الذي يقول عنه نفسه إنه شاعرٌ ومخرج سينمائي من أنفيرس البلجيكية. هل هو آداموف، ربما؟ أم موريس رافائيل؟ لقد أضحكنا كثيرًا، هذا الشخص. كان عنده ميلٌ نحو لوكي ونحوي. كان يريد أن نقضي الصيف في منزله الكبير في مايوركا. لم تكن لديه، فيما يبدو، مشاكل مالية. كان يحكى أن لديه مجموعات من اللوحات الفنية... كانت تُقال عنه أشياء كثيرة... ثم إن الناس تختفي يومًا ونكتشف أننا لا نعرف عنها شيئًا، لا نعرف شيئًا حتى عن هويتها الحقيقية.

لماذا يعودُ شبح بوب ستورمس الضخم بقوة إلى ذاكرتي؟ في لحظات الحياة الموغلة في الحزن، توجد في كثير من الأحيان رنة ناشزة ورشيقة، صورة مهرّج فنلندي، شخص ما يشبه

Telegram: Somrlibrary

بوب ستومرس يمرُّ والذي كان باستطاعته تلافي المصائب. كان يقف في الكونطوار كما لو أن المقاعد الخشبية يمكنها أن تنهار تحت ثقل وزنه. كان طويلاً جدًّا إلى درجة أن ضخامته لا تُرى. كان دائمًا لابسًا ما يشبه صُدرة ضيقة من المخمل والتي يتَعَارض فيها السواد مع لون لحيته وشعره الأصهب. عباءة من اللون نفسه. في مساء اليوم الذي لاحظنا وجوده لأول مرة، اتجه نحو طاولتنا وحدّق في وجهينا، لوكي وأنا. ثم ابتسم وهمس وهو يميل نحونا: «أصحاب الأيام السيئة، أتمنى لكم ليلة سعيدة». حين اكتشف أنني أعرف كثيرًا من الأبيات الشعرية، أراد أن يتبارى معي. سيكون الفوز لمن ينشد البيت الأخير. ينشد لي بيتًا وأفعل مثله، وهكذا دواليك. دام الأمر فترة طويلة. لم يكن لدي أي فضل في الأمر. كنت أشبه شخصًا أميًّا، من دون ثقافة عامة، ولكني كنت أحفظ أبياتًا، مثل أولئك الذين يعزفون أي قطعة موسيقية على جهاز البيانو وهم لا يعرفون كتاب التنغيم. كان لبوب ستورمس ميزة تفوقني وهي أنه يعرف أيضًا كل رصيد الشعر الانجليزي والإسباني والفنلندي. واقفًا على الكونطوار ينشدني بنبرة تحدّ:

أسمعُ الخيول المُظلَّلة، عُرْفها (شَعر طويل) المرتعش[1]

(1) للشاعر كيتس:

I hear the shadowy Horses, their long manes a-shake

Telegram: Somrlibrary

أو:

مثل كلّ الموتى الذين ينسونهم، في كومة من الكلاب الهامدة[1]

أو أيضًا:

للعُمدة نصيبٌ من الخطأ،

من حركته، تعلّمنا حياةَ الضغينة[2]

كان يتعبني بعض الشيء ولكنه كان شخصًا طيبًا جدًّا، وكان يكبرني كثيرًا. كنت أتمنى لو أنه حدثني عن حيواته السابقة. كان يجيب دائمًا على أسئلتي بأجوبة مُداورَة. وحين كان يحس أن شخصيته تثير كثيرًا من الفضول تذوب حيويته المفرطة بصفة مفاجئة، كما لو أنه يمتلك شيئًا يتوجب إخفاءه أو كَمَن يريد خلط الأوراق. لا يجيب، وينتهي به الأمر إلى كسر الصمت من خلال انفجاره في الضحك.

أقام بوب ستورمس سهرة في بيته. دعانا إلى بيته، لوكي وأنا، مع الآخرين: آنيت ودون كارلوس وبوو وينج

(1) Como todos los muertes que se olvidan En un monton de perros apagados.

(2) باللغة الهولندية:

De burgemeester heeft ons iets misdaan Wij leerden, door zijin schuld, het leven haten

Telegram: Somrlibrary

وزاكارياس وميراي ولاهوبا وعلي شريف وأيضًا الشخص الذي أقنعناه بمغادرة مدرسة المعادن. كان ثمة مدعوون آخرون لكنني لم أكن أعرفهم. كان يقيم في كي دانجو في شقة، كان الطابق الأعلى فيها عبارة عن ورشة كبيرة. استقبلنا في هذا المكان من أجل قراءة لمسرحية كان يريد إخراجها بعنوان: «هوب سينيور». وصلنا، لوكي وأنا، قبل الآخرين، ولقد ذهلنا لرؤية الشمعدانات الكبيرة التي كانت تضيء الورشة وأيضًا بالدمى الصقلية والفَنلَنْديّة المعلقة بخزفيات ومرايا أثاث عصر النهضة. كان بوب ستورمس يلبس صدرته من المخمل الأحمر. نافذة كبيرة زجاجية تطل على نهر السين. وبحركة مَن يريد تقديم الحماية، أحاط بذراع لوكي وذراعي وقال لنا جملته الطقوسية:

أصحاب الأيام السيئة

أتمنى لكم ليلة سعيدة.

ثم أخرج من جيبه مظروفًا ومده إليّ. قال إنها مفاتيح بيته في مايوركا وإن علينا أن نزورها في أقرب وقت ممكن، وأن نظل فيها حتى شهر سبتمبر. قال إن وجهينا نحيلان. كم كانت السهرة غريبة... المسرحية لم تكن تتضمن سوى فصلٍ واحدٍ والممثلون قرأوها بسرعة. كنا جالسين من حولهم. ومن حين لآخر، أثناء القراءة، وعند إشارة من طرف بوب ستورمس، يتوجب علينا جميعًا أن نصرخ جميعًا لو كنا نشكّل

Telegram: Somrlibrary

جوقة منشدين: «هوب، سينيور» كانت المشروبات الكحولية تتدفق بسخاء. ومواد أخرى سامة. كانت ثمة مائدة طعام وسط الصالون الكبير في الطابق السفلي. وكان بوب ستورمس، بنفسه، من يقوم بتقديم المشروبات في أقداح كبيرة وكؤوس من الكريستال. كان الناس يتكاثرون. في لحظة ما قدّم إليّ ستورمس رجلاً من نفس عمره لكنه أقصر منه بكثير، وهو كاتب أمريكي، ويدعى جيمس جونس وقال له عنه إنه «جاره الأقرب». وانتهى بنا الأمر، لوكي وأنا، في نهاية المطاف، إلى ألا نعرف ما الذي كنا نفعله وسط كل هؤلاء المجهولين. هذا الكمّ الكبير من الناس الذين التقينا بهم في بدايات حياتنا والذين لن يعرفوا هذا أبدًا والذين لن نتعرف عليهم أبدًا.

تسللنا نحو باب الخروج. كنا متأكدين بأنه لا أحد اكتشف مغادرتنا لهذا الحشد. لكن ما إنْ تجاوزنا باب الصالون حتى التحق بنا بوب ستورمس.

«إذًا... تتركونني من دون استئذان، أيها الأطفال؟».

كان يتكلم في ابتسامته المعتادة، ابتسامة واسعة تجعله، بفضل لحيته وقامته الطويلة، يشبه بعض شخصيات عصر النهضة أو القرن الكبير[1]، روبنس أو بوكينكهام. لكن قلقًا كان يظهر في نظرته.

(1) مرحلة من تاريخ فرنسا (سنوات 1600).

Telegram: Somrlibrary

«ألم تحسّا بكثير من الضجر؟

قلت له:

لا. كانت جيدة، هوب سينيور...».

أحاطنا بذراعيه، لوكي وأنا، كما فعل، من قبل، في الورشة.

«هيّا، أتمنى رؤيتكما غدًا...».

رافقنا إلى الباب وهو لا يزال يمسك بكتفينا.

«يتوجب عليكما بشكل خاص، أن تذهبا على وجه السرعة إلى مايوركا لتتنفسا... أنتما في حاجة إلى ذلك... وقد أعطيتكما مفاتيح المنزل...».

على سطح الدرج تأملنا طويلاً. ثم أنشد:

السماء مثل الخيمة الممزَّقة لسيرك فقير.

نزلنا الدرج، لوكي وأنا، فيما ظل هو مائلاً على الدرابزين. كان ينتظر أن أقرأ عليه بيتًا شعريًّا، جوابًا على بيته الشعري، كما نفعل عادة. لكني لم أجد ما أقوله.

يُخيّل إليّ أني أقوم بخلط الفصول. بعد بضعة أيام من هذه السهرة، اصطحبت لوكي إلى منطقة أوتوي. يخيل إليَّ أن الأمر حدث في الصيف، أو في الشتاء، في إحدى الصباحات الباردة، من الشمس والسماء الزرقاء. كانت تريد زيارة جي لافيني،

Telegram: Somrlibrary

الذي كان صديق والدتها. فضلتُ أن أنتظرها. اتفقنا على موعد «في غضون ساعة» في ركن شارع المرأب. أعتقد أنه كانت لدينا الرغبة في مغادرة باريس بسبب المفاتيح التي سلمها لنا بوب ستورمس. أحيانًا ينقبض القلبُ من الأشياء التي كان يمكنها أن تحدث ولم تكن، ولكني أقول لنفسي، الآن، بأن المنزل لا يزال فارغًا، في انتظارنا. كنت سعيدًا، هذا الصباح. ورشيقًا. أحسست بنوع من النشوة. خط الأفق كان بعيدًا، أمامنا، هناك، نحو اللانهائي. مرأب في زاوية شارع هادئ. ندمت على عدم مصاحبة لوكي لدى هذا السيد لافيني. ربما يُعيرنا سيارة نستقلها للنزول، جنوبًا.

رأيتها تخرج من باب المرأب الصغيرة. أشارت إليّ بذراعها، كما فعلت، بالتحديد، في المرة الأخيرة، حين انتظرتها، هي وصديقتها جين جول، بالقرب من نهر السين. تتمشى نحوي بخطاها الفاترة نفسها، مَن يراها يقول إنها تخفف من مشيتها، كما لو أن الزمن لا قيمة له. تناولت ذراعي وتجولنا في الحي. هنا سنقطن ذات يوم. على حال، لقد كنّا نقطن فيه، دائمًا. تتبعنا شوارع صغيرة، عبرنا مدارة مقفرة. قرية أوتوي تنفصل بهدوء عن باريس. هذه العمارات بألوانها الحمراء يمكن أن نجدها في منطقة كوت-دازير، ونتساءل إن كانت هذه الحيطان تخفي حديقة أم طرف غابة. وصلنا إلى

Telegram: Somrlibrary

ساحة الكنيسة، أمام محطة المترو. وهنا، وأعترف بالأمر لأنه ليس لديّ ما أخسره، أحسستُ، لأول مرة في حياتي، بالعودة الأبدية. قبيل هذه اللحظة، كنتُ أجهد نفسي على قراءة أعمال حول الموضوع، بإرادة جيدة من شخص عصامي. حدث الأمر، تحديدًا، قبل نزول أدراج محطة المترو إكليز-دوتوي. لماذا هذا المكان، تحديدًا؟ لست أدري وهذا الأمر ليست له أية أهمية. ظللتُ، خلال هنيهة، متجمدًا وضغطتُ على يدها. كنا، هنا، معًا في المكان نفسه، لكل أبديّة، ونزهتنا في أوتوي، قمنا بها من قبل، خلال ألف وألف حياة أخرى. ليس من حاجة لاستشارة ساعتي. كنت أعرف أن الوقت كان الظهيرةَ.

حدث في نوفمبر. في يوم سبت. صباحًا وما بعد الظهيرة، كنت جالسًا في شارع أرجنتين وأشتغل على موضوع المناطق المحايدة. كنت أريد أن أعزز هذه الصفحات الأربعة وأجعل منها ثلاثين صفحة، على الأقل. سيشكّل الأمر كرة من الثلج وأستطيع أن أصل إلى مائة صفحة. كان عندي موعد مع لوكي في الساعة الخامسة. كنت قد قررتُ مغادرة شارع أرجنتين في الأيام القادمة. بدا لي أنّي شُفيت تمامًا من جراحات طفولتي ومراهقتي، وأنه من الآن فصاعدًا ليس لدي أيّ سبب للبقاء مختبئًا في منطقة محايدة.

Telegram: Somrlibrary

تمشيتُ حتى وصلت إلى محطة ميترو إتوال. كان هو خط المترو الذي نستخدمه في معظم الأحيان، أنا ولوكي، للذهاب لاجتماعات جي دي فير، الخط نفسه الذي تتبعناه مشيًا على الأقدام، للمرة الأولى. خلال عبور نهر السين لاحظتُ وجود العديد من المتنزهين في ممر سيجنيس Cygnes . تغيير الميترو في محطة موت-بيكي- جرونيل.

نزلت في محطة مترو مابيون وألقيتُ نظرة في اتجاه لابيرجولا، كما نفعل دائمًا. لم يكن موشيليني جالسًا خلف زجاج النافذة.

حين دخلت إلى كوندي، كان عقربا الساعة المستديرة الموضوعة على الحائط يشيران إلى الساعة الخامسة. على العموم، هنا، هي ساعة راكدة. كانت الطاولات فارغة، عدا الطاولة الموجودة بالقرب من الباب، حيث يجلس زاكارياس وآنيت وجون-ميشيل. وجه إليّ الثلاثة نظرات غريبة. لم يقولوا شيئًا. كان وجها زاكارياس وآنيت شاحبين، من دون شك بسبب الضوء النازل من زجاج النافذة. لم يَرُدّوا على تحيتي. كانوا يسلطون عليّ نظراتهم الغريبة، كما لو أني ارتكبت إساءة ما. انقضبت شفتا جون-ميشيل وشعرتُ أنه يريد أن يتكلم. رست ذبابةٌ على ظهر يد زاكارياس وطردها بحركة عصبية. ثم تناول كأسه وشرب محتواه، بجرعة واحدة. نهض

Telegram: Somrlibrary

مـن مقعـده واتجـه نحـوي، وقـال لي بـصوت مـن دون رنـة: «لوكي. ألقت بنفسها من النافذة».

كنتُ خائفًا من أن أخطئ الطريق. مـررت مـن راسـباي والشارع الذي يُقسّم المقبرة. عند وصـولي إلى النهايـة، لم أكـن أعرف إن كان عليّ مواصـلة المـشي بـشكل مـستقيم أو اتبـاع شارع فروديفو. تتبعت شـارع فروديفـو. انطلاقًـا مـن هـذه اللحظة حدث غيابٌ في حيـاتي، فـراغٌ، لم يُـسبّب لي إحـساسًا بالفراغ فقط ولكنني لم أكن أسـتطيع تحمـل النظـر. كـل هـذا الفراغ يبهرني بضوء حاد ومتوهج. وهذه الحالة سـتظل عـلى هذا الأمر، حتى النهاية.

بعد هذا، بفترة طويلة، كنت في قاعـة انتظـار. كـان ثمـة رجل في الخمسين من عمره، شَعر رأسه رمادي قـصير واقـفٌ ويرتدي معطفًا بروافد، ينتظر هو الآخر على مقعد، من الجهـة الأخرى من القاعة. ما عدا الرجـل وأنـا، لم يكـن ثمـة أحـدٌ. جاءت الممرضة تخبرني بأنها ماتت. اقترب منّا كما لوكان معنيًّا بالأمر. اعتقدت أنه جي لافينـي، صـديق أمهـا الـذي كانـت تذهب لرؤيته في منطقة أوتوي في مرأبه. سألتُهُ:

«هل أنت جي لافيني؟».

هزّ رأسه.

Telegram: Somrlibrary

«لا. أنا أُدعى بيير كيسلي».

خرجنا معًا من بروسي **Broussais**. كان الليل قد أسدل ذيوله. تمشينا جنبًا إلى جنب طول شارع ديدوت.

«وأنت هو رولاند، أفترض؟».

كيف أمكن له معرفة اسمي؟ كنت أجد صعوبة في المشي. هذا الفراغ، هذا الضوء المشعّ أمامي...

سألتُه: «هل تركتْ رسالة؟

- لا. لا شيء».

هو الذي قال لي كل شيء. كانت تتواجد في الغرفة مع امرأة تُدعى جانيت جول التي ينادونها رأس الميت. لكن، كيف يعرف لقب جانيت؟ كانت قد خرجت إلى الشرفة. وضعت ساقًا من فوق الدرابزين. حاولت المرأة الأخرى أن تمسك بها من ذيل مِفْضَلتها. لكن بعد فوات الأوان. كان لديها الوقت للتلفظ ببعض الكلمات، كما لو أنها كانت تكلّم نفسها، كي تمنح لنفسها الشجاعة:

انتهى الأمر. استسلمي للتراخي.

Telegram: Somrlibrary

قائمة الإصدارات

Telegram: Somrlibrary

م	عنوان الكتاب	المؤلف / المترجم	سنة النشر
1	النص والتأويل في الخطاب الأصولي (أليات القراءة وسلطة التناص)	بثينة الجلاصي	2014
2	سلطة الإجماع (الإشكاليات – النقد)	حمادي ذويب	2014
3	فلسفة كارل بوبر السياسية(من الإبستيمولوجيا إلى الأيديولوجيا)	أحمد فاروق	2014
4	نظرية المعرفة العلمية (الإبستيمولوجيا) روبير بلانشية	ت / حسن عبد الحميد	2014
5	الإسماعليون في بلاد المغرب (الفكر – المؤسسات – العمران)	بوبة مجاني	2014
6	إشكالية الخصوصية الثقافية لدى مفكري الغرب الإسلامي	عبد المجيد الصغير	2014
7	المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي	ابراهيم القادري بوتشيش	2014
8	العقل والوحي (منهج التأويل بين ابن رشد وبين بن ميمون وسبينوزا)	أشرف منصور	2014
9	الخطاب الصوفي في الغرب الإسلامي مقاربات منهجية	محمد مفتاح	2014
10	الاصول الفرعية للتشريع في المذهب المالكي	عارف عليمي	2014
11	دلالة الشكل دراسة في الإستطيقا الشكلية	عادل مصطفى	2014
12	كشف أسرار الباطنية وأسرار القرامطة	الحمادي المعافري	2014
13	شروحات السماع الطبيعي لإبن باجة الأندلسي	معن زيادة	2014
14	جنة النساء والكافرين سفارة نامة (محمد جلبي)	ت / خالد زيادة	2014
15	الحركة من الطبيعة إلى مابعد الطبيعة دراسة في فلسفة إبن باجة الأندلسي	تحقيق / معن زيادة	2014
16	تاريخ محمد علي وإبراهيم باشا (إسكندر يعقوب أغابكاريوس)	تحقيق / أحمد العدوي	2014
17	فكرة الإلوهية في فلسفة باركلي	فريال حسن خليفة	2014

Telegram: Somrlibrary

18	تجليات الثقافي في الربيع العربي	كمال عبد اللطيف	2014
19	نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي	أحمد هويدي	2014
20	نقد العهد القديم (زالمار شازار)	ت / أحمد هويدي	2014
21	الحجاج والمواطنة	توبي لحسن	2014
22	محطات دبلوماسية	أحمد عبد الوهاب	2014
23	شفرات النص دراسة في سمولوجيا القص والقصيد	صلاح فضل	2014
24	التمثيل الجمالي للحياة	صلاح فضل	2014
25	تحولات الشعرية العربية	صلاح فضل	2014
26	قراءة الصورة وصور القراءة	صلاح فضل	2014
27	نقد الخطاب المفارق في السرد النسوي بين النظرية والتطبيق	هوييدا صالح	2014
28	التعالق النصي في الخطاب النقدي والإبداع الشعري	نانسي إبراهيم	2014
29	النص التفاعلي آليات السرد وسحر القراءة	لبيبة خمار	2014
30	القراءة والتجربة حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب	سعيد يقطين	2014
31	الخبر والحكاية التشكل الدلالي في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي	بشرى قانت	2014
32	مسجونة إحتياطي (رواية)	نيرمين البحطيطي	2014
33	حسن الختام (رواية)	صفاء النجار	2014
34	صاحب الفهم الجديد للإسلام قراءة في المواقف وتزوير التاريخ	عبدالله الفكي البشير	2014
35	الأفعى والبحر (رواية)	محمد زفزاف	2013
36	أفواه واسعة (رواية)	محمد زفزاف	2013
37	قبور في الماء (رواية)	محمد زفزاف	2013
38	المرأة والوردة (رواية)	محمد زفزاف	2013
39	بيضة الديك (رواية)	محمد زفزاف	2013
40	أرصفة وجدران (رواية)	محمد زفزاف	2013
41	الحي الخلفي (رواية)	محمد زفزاف	2013
42	محاولة عيش (رواية)	محمد زفزاف	2013
43	مستويات الخطاب المنهجي	حسن عبد الحميد	2013
44	صورة المثقف في الرواية الجديدة	هويدا صالح	2013

Telegram: Somrlibrary

45	المغالطات المنطقية	عادل مصطفى	2013
46	الفن (كلايف بل)	عادل مصطفى	2013
47	الإورجانون الجديد (فرنسيس بيكون)	عادل مصطفى	2013
48	الصراع بين المتدينين والعلمانين في إسرائيل	أحمد محمود هويدي	2013
49	البداية والنهاية في الرواية العربية	عبد الملك أشهبون	2013
50	التاريخ السياسي للمعتزلة	عبد الرحمن سالم	2013
51	سبينوزا ونقد العقل الخالص	أشرف منصور	2013
52	الصابئة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الخلافة العباسية	أحمد العدوي	2013
53	الثورة في العالم العربي (تونس ومصر ونهاية عصر	ت / هاني حلمي	2013
54	إحدى عشر دقيقة (باولو كويلو) - (رواية)	ت / وائل بحري	2013
55	الشيخ والبحر (أرنست هيمنجواي)	ت / علي القاسمي	2013
56	الوليمة المتنقلة (أرنست هيمنجواي)	ت / علي القاسمي	2013
57	النقد ومستقبل الثقافة العربية	فريال حسن خليفة	2013
58	الفقة والتاريخ في الغرب الإسلامي	لخضر بولطف	2013
59	الغرب الإسلامي مباحث في العلوم التجريبية	سعيد بنحمادة	2013
60	صورة الأنا والأخر في السرد العربي	محمد الداهي	2013
61	التخييل وبناء الانساق الدلالية	سعيد جبار	2013
62	ضفائر شهرزاد (وظائف في مائة ليلة وليلة	محمد تنفو	2013
63	دراسات في الوثائق الشرعية	خالد زيادة	2013
64	في سيمياء الشعر القديم	محمد مفتاح	2012
65	تجاوز الماركسية من النظرية إلى النقدية	هشام عمر النور	2012
66	تدبير المتوحد لإبن باجة الأندلسي	معن زيادة	2012
67	الدين الشعبي في مصر	شحاتة صيام	2012
68	فقراء زمن العولمة	محمد العودي	2012
69	شعرية التناص في الرواية العربية	سليمةعذاوري	2012
70	بنو امية على منبر الرسول	عبد اللة سالم مليطان	2012
71	المرأة المتجردة في مائة ليلة وليلة	محمد تنفو	2012
72	تزفيتان ميخائيل باختين المبدأ الحواري (تودوروف)	ت / فخري صالح	2012

Telegram: Somrlibrary

73	قضية الحكم في الفكر الإسلامي الحديث	حمادي ذويب	2012
74	الرواية العربية وأسئلة مابعد الإستعمار	إدريس الخضراوي	2012
75	الصوفية النسوية والدين الناعم	شحاتة صيام	2012
76	خزانة شهرزاد الأنواع السردية في مائة ألف ليلة وليلة	سعاد مسكين	2012
77	اروبا في مرأة الرحلة	سعيد بنسعيد العلوي	2012
78	فقة الديمقراطية	عادل مصطفى	2012
79	الزفير الحار	وجيهة عبد الرحمن	2012
80	ملاك الفرصة الأخيرة	سعيد نوح	2012
81	عمرة الدار	هويدا صالح	2012
82	دفاعاً عن إدوارد سعيد	فخري صالح	2012
83	الحديقة الأندلسية	محمدعزالدين التازي	2012
84	دم الوعول	محمدعزالدين التازي	2012
85	أعلنو مولدة فوق الجبل (جيمس بلدوين)	ت / هاني حلمي	2012
86	ذاكرة الماء	واسيني الأعرج	2012
87	نوار اللوز	واسيني الأعرج	2012
88	حارسة الظلال	واسيني الأعرج	2012
89	مصرع أحلام مريم الوديعة	واسيني الأعرج	2012
90	الخبز الحافي	محمد شكري	2012
91	نحو مشروع مستقبلي للإسلام	محمود محمد طة	2012
92	النفس ودماغها (كارل بوبر)	ت / عادل مصطفى	2012
93	مدخل إلى الفلسفة (وليم جيمس إيرل)	ت / عادل مصطفى	2011
94	أسباب الإنقلاب العثماني- محمد روحي الخالدي	تحقيق / خالد زيادة	2011
95	الدولة العثمانية قبل الدستور وبعدة	تحقيق / خالد زيادة	2011
96	مشكلة العلوم الإنسانية	يمنى طريف الخولي	2011
97	التأويل والمفارقة	كمال عبد اللطيف	2011
98	فقة وشرعية الإختلاف في الإسلام	عبد المجيد الصغير	2011
99	الخطاب الإصلاحي العربي	عبد المجيد الصغير	2011
100	خصوصية التجربة الصوفية بالمغرب	عبد المجيد الصغير	2011
101	إشكالية الدين والسياسة في تونس	عبد الحكيم أبو اللوز	2011
102	الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري	جمال بندحمان	2011

Telegram: Somrlibrary

باتريك موديانو

الحائز على جائزة نوبل

مقهى الشباب الضائع

"لاحظتُ جيّدًا أنه يصدّقني. إنها ميزة أن يكون المرء أكبر من الآخرينِ بعشرين سنة. إذ إنّهم لا يعرفونَ ماضيك. وحتى إذا طرحوا عليك بعض الأسئلة الطائشة عمّا كانت عليه حياتك إلى حدّ السّاعة، تستطيع أنْ تختلق كلّ شيَء، حياة جديدة. لن يكلفوا أنفسهم عناء التحقق من الأمر. وبقدر المضيء في الحديث عن هذه الحياة المتخيّلة، فإنّ نفحات كبيرة من الهواء المنعش تجتاز مكانًا مغلقًا حيث كنت تختنق فيه منذ فترة طويلة. نافذة تنفتح فجأة، الشبّاك الخارجي يصفق من الرّيح. ها هو المستقبل، من جديد، أمامكَ. ناشر كتب فنيّة. جاءتني الفكرة من دون تفكير. لو سُئلتُ قبل أكثر من عشرين سنة عمّا سأصيره في المستقبل، كنتُ سأتمتم: ناشر كتب فنية. ها، أقول هذا اليوم. لم يتغير شيءُ. كلّ هذه السنوات تم إلغاؤهَا."

الغلاف حسين جميل